

القسم الثاني  
دراسات نحوية ولغوية وبلاغية  
في ظلال النصوص القرآنية



حوار بين الإيمان والكفر  
من سورة الأعراف  
بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا  
أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٩٤﴾  
ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ  
مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ  
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا  
لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن  
كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَلَمِنَ أَهْلِ  
الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيِّنَاتٍ وَهُمْ نَاعِمُونَ ﴿٩٧﴾  
أَوْ آمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ  
يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا  
الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْآرِضَ  
مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّو نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ

عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١١٥﴾ تِلْكَ الْأَقْرَىٰ نَقُصُّ  
 عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ ءَلٍ وَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا  
 كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ  
 عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ  
 عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١١٧﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ  
 بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ فَظَلَمُوا بِهَا  
 فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١١٨﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ  
 يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٩﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ  
 أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ  
 رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٢٠﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ  
 جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿١٢١﴾  
 فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٢٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا

هِيَ بَيْضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ  
 هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١١٦﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ  
 فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٧﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ  
 حَاشِرِينَ ﴿١١٨﴾ يَا تَوَكُّبِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٩﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ  
 فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١٢٠﴾  
 قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لِمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿١٢١﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا  
 أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ أَلْقُوا  
 فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا  
 بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١٢٣﴾ \* وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ  
 عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١٢٤﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ  
 وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٥﴾ فَعَلْبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا  
 صَافِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَالَّذِي السَّحَرَةَ سَجَدِينَ ﴿١٢٧﴾ قَالُوا آمَنَّا

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ  
 ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۗ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرُومُهُ  
 فِي الْمَدِينَةِ لَتُخْرِجُوا مِنْهَا ءَٰهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾  
 لَأَقْطَعَنَّ ءَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ۖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ  
 أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا  
 نَنْقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِءَايَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا  
 أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن

## المفردات اللغوية

البأساء: كل ما نالهم من الشدة من أحوالهم.

الضراء: ما نالهم من الأمراض.

الحسنة: الرخاء. السيئة: الشدة (في سياق الآية)، والحسنة عند أهل

اللغة: ما يستحسنه الطبع والعقل. والسيئة: كل ما يسوء صاحبه.

عَفَوْا: يقال: عفا الشعرُ وغيره: إذا كثر فهو عافٍ، ومعنى عَفَوْا في

الآية: كَثُرُوا.

بركات السماء: المطر، وبركات الأرض: النبات والثمار، وكثرة

المواشي والأنعام.

الضْحَى: صدر النهار، وأصله الظهور من قولهم: ضحا للشمس: إذا

ظهر لها.

نطبع على قلوبهم: الطبع: الختم، والغشاوة، والصد والمنع.

القرى: المراد بها قرى الأقاليم الخمسة وهم: قوم نوح، وهود،

وصالح، ولوط، وشعيب.

العهد في هذه الآية: المراد به الإيمان.

الظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

حقيق عليّ أن لا أقول: واجب.

نزع يده: النزع في اللغة: عبارة عن إخراج الشيء عن مكانه، فنزع

يده: أي أخرجها من جيبه.

أرجه: أي أخره، يقال: أَرَجَاتُ الأمر، وأرَجَيْتُهُ: إذا أخرته.

استرهبوهم : أرهبوهم ، والسّين زائدة .

الإفك : هو قلب الشيء عن وجهه ، ويأفكون هنا بمعنى يكذبون .

فوق الحق : الوقوع ظهور الشيء بوجوده نازلاً إلى مستقرّه ومعناه :  
فتبين الحق من السّحر ، لأن السحر ليس بحق .

### المعنى الإجمالي

من الآيتين رقم ٩٤ ، ٩٥ : ذكر سبحانه بعدما ذكر قصص الأنبياء ،  
وتكذيب أممهم إياهم ، وما نزل بهم من العذاب لِيُسَلِّي نَبِيَّهُ ﷺ . إنه ما أُرْسِلَ  
رسولاً إلى قرية من القرى ، فكذّبه قومه إلا أخذ هؤلاء المكذبين بالبأساء  
والضراء ليتنبهوا ويعلموا أن ما أصيبوا به من البأساء والضراء ما هو إلا مقدّمة  
العذاب .

وكان الواجب يقتضي منهم أن يتوبوا إلى الله تعالى ، ويتضرّعوا حتى لا  
يصيبهم العذاب .

ولأجل أن تقوم عليهم الحجة فإن الله تعالى رفع عنهم السيئة ، والمراد  
بها الشدة والبأساء ، ووضّع الحسنة مكانها ، والمراد بها : الرّخاء حتى عَفَوْا أي  
كثُرَتْ أموالهم ، وقال بعضهم لبعض هذا شأن الدّهر : يومان يومٌ شِدَّةٌ ويوم  
رِخاء ، وهكذا كان أبأونا تتبدّل الدنيا لهم من سوء العيش إلى رخائه ومع ذلك  
لم يتحولوا عن عقائدهم .

هؤلاء الجبابرة المتكبرون الذين لم يتعظوا من حالة الشدّة ، ولم يتنبهوا  
في حالة الرّخاء ليعلموا أن الذي جلب إليهم الشدة هو الله ، وأن الذي وهبهم  
الرّخاء هو الله فينقادوا له ، ويتبعوا رسله ، ولكن عميت قلوبهم ، فأخذهم الله  
تعالى بَعْتَةً وهم لا يشعرون .

\* \* \*

وفي الآيات رقم ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ يُبيّن الله تعالى أن هؤلاء الذين

اهلكناهم بغتة هم الذين كانوا سبباً في ذلك الإهلاك مع أنهم لو آمنوا وصدّقوا لفتح الله عليهم الخيرات النامية من السماء بإنزال المطر، ومن الأرض بإخراج النّبات، ولكن لم يفعلوا كذلك، فكذبوا فكان جزاؤهم الإهلاك.

والحديث عن القرى في العصور الماضية مقدمة لأهل القرى الذين كذبوا الرسل عليهم السّلام، فللعبرة والعظة ذكر ما حلّ بالأمم السابقة لتعظّ الأمة الحاضرة فأهل القرى من قومك الذين كذبوا، هل آمنوا أن يأتيهم عذابنا ليلاً وهم نائمون أو يأتيهم بأسنا نهاراً عند ارتفاع الشمس وقت الضحى وهم يلبون؟

وبعد هذا كله هل آمنوا عذاب الله أن يأتيهم في لحظة من اللحظات وهم لا يشعرون.

وسمى العذاب مكرّاً لتزوله بهم من حيث لا يعلمون كما أن المكر ينزل بالممكور به من جهة الماكر من حيث لا يعلمه.



وفي الآيات: ١٠٠، ١٠١، ١٠٢ يسوق الله تعالى لهم العبرة والعظة فيسجّل لهم في هذا الموقف أن الذين يرثون الأرض من بعد هلاك الأمم الذين قبلهم بتكذيبهم للرسل أنه لو شاء لأهلكهم بذنوبهم كما أهلك الأمم الماضية قبلهم، لأنهم لا يسمعون الوعظ، ولا يلتفتون إلى العظة لما طبعت عليه قلوبهم من الإثم والضلال.

ثم يخاطب الله تعالى نبيّه عليه السلام بقوله تعالى: ﴿تلك القرى نقصّ عليك من أنبائها﴾ - أي القرى التي أشارت إليها الآيات السابقة - لتتفكّر فيها وتخبر قومك بها، ليعتبروا فلا يقعوا في العصيان كما قعت هذه الأمم.

والرسل حينما يبعثون، يبعثون ومعهم الدلائل والحجج الواضحات على صدق رسالاتهم، وأضاف الرسل إليهم، لأن العقل السليم

يقتضي أن ينتفع بما جاءت به الرسل ولكن مع هذه البيّنات والدلالات ما كان الخلق ليؤمنوا بما كذب به أوائلهم من الأمم، لأن الله تعالى طبع على قلوبهم لكفرهم وعصيانهم.

وهم قوم لا وفاء لهم بعهد، وليسوا بحافظين للعهد.

\* \* \*

وفي الآيات: ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨ نرى ما يأتي:

- أ - العطف بقصة موسى عليه السلام على ما تقدّم من قصص الأنبياء.
- ب - إرسال موسى عليه السلام إلى فرعون ومعه الحجج والبيّنات التي تؤيّده ويمقتضى هذه البيّنات كان الواجب على فرعون وقومه أن ينقادوا لله تعالى ويؤمنوا برسوله عليه السلام.
- ج - ومع هذه البيّنات فقد كذّبوه، وكان في التكذيب هلاكهم، لأن فرعون وقومه مفسدون.
- د - حوار موسى مع فرعون حوار الإيمان مع الكفر، فموسى واجه فرعون بالحقيقة حيث قال له: إني رسول من رب العالمين، وهذه حقيقة لا تقبل الحوار أو الجدل لوضوحها، ووجود الحجة على تأييدها. وواجهه مرّة أخرى بأنه يحمل معه آية من الله، وهي معجزته التي لا يستطيع أحد من البشر أن يأتي بمثها.
- هـ - ولكونه يحمل هذه المعجزة وهي قوة مُؤيّد بها، فكان الموقف قوياً بالنسبة لموسى عليه السلام مما جعله يوجّه لفرعون أمراً، وهو سرعة إطلاق سراح بني إسرائيل من تسخيرهم لهم، واستخدامه لطاقتهم في الأعمال الشاقة.
- و - وغرور فرعون جعله يتخيّل أن موسى غير جاد فيما يقول، ومن هنا تحدّاه فقال له: هات آيتك، وأرنا حُجَّتَكَ. فكانت إجابة موسى عليه السلام سريعة ومفاجئة، لأنها ردّ عمليّ لجوابه، فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبین.

وفاجاه بإجابة أخرى وهي عملية أيضاً حيث أخرج يده من جيبه فإذا هي بيضاء لها شعاع يغلب نور الشمس.



وفي الآيات: ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢: توضح لموقف قوم فرعون لما رأوا من معجزتي موسى عليه السلام، فقد قال الأشراف بعضهم لبعض في سبيل المشورة، وتبادل الرأي: هذا الذي رأيناه ما هو إلا سحر ساحر يريد أن يجذب بني إسرائيل إليه ليقوى بهم، ثم يشتد أمرهم، فيتغلبوا علينا.

وقد سمع فرعون آراءهم فطلب منهم سرعة الاتفاق على الرأي، فقال لهم: ماذا تأمرون؟ فقالوا له: آخر حكمك في هذا الذي أراد أن يغير معتقدنا، ويهز مجتمعا، وآخر حكمك أيضاً في أخيه حتى نقيم حواراً سحرياً بيننا وبينه، وما عليك إلا أن ترسل رسلك إلى المدائن التي حولنا ليجمعوا لك السحرة، فيحاوروا موسى بالسحر فيغلبوه، وحينئذ لا تقوم له حجة، وفي هذه الحالة افعل به وبأخيه ما شئت، فقد تكون الغلبة للسحرة، وفي هذا اطفاء لحجة موسى، وقضاء على معجزته التي يدعيها، فيهرب من الناس، وبخاصة من قومه بنو إسرائيل.



وفي الآيات: ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، تسجيل للحوار الذي دار بين السحرة وفرعون، حقاً إنه تسجيل رائع، لأن السحرة ما جاءوا عن عقيدة وإيمان ليغلبوا موسى بالسحر، وإنما جاءوا وكل همهم أن يأخذوا أجراً على ما يفعلون فالدافع لحوارهم هو المال والنفع الدنيوي، وهذا يختلف تماماً عن حوار موسى الذي كان من ورائه أن يجذبهم إلى الإيمان، ويخلص بني إسرائيل من الطغيان. ولما سمع فرعون عرضهم أجابهم لطلبهم، وليس هذا فحسب، بل وعدهم أن يحقق لهم منزلة أعلى عنده وهي القرب إليه، ومنزلة القرب أقوى من منزلة المال.

وبدأ الحوار، وعرضوا على موسى إما أن يبدأ هو أو يبدأوا هم ولكن

موسى قال لهم: ألقوا أنتم، وفي هذا تهديد لهم بأنهم مهما فعلوا فإنهم مهزومون.

فلما ألقوا حبالهم وعصيهم احتالوا في تحريك العصى والحبال بما جعلوا فيها من الزئبق حتى تحركت بحرارة الشمس، وخيل إلى الناس أنها إنما تتحرك على ما تتحرك به الحية، وقد أربوا الناس وأفزعوهم بهذا السحر الباطل.

وقد وصف سحرهم بأنه عظيم لكثرة الحيلة فيه، وشدة التمويه به فهو لذلك عظيم الشأن عند من يراه من الناس.

\* \* \*

والآيات: ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢ توضح أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن ألق عصاك التي معك، فآلقاها فصارت ثعباناً عظيماً ابتلعت كل حبالهم وعصيهم، فبطل تمويههم، وظهر إفكهم.

وفي هذه الآيات لفظة رائعة، فموسى عليه السلام لعلمه أنه يحمل آية، وأنه مؤيد بمعجزة، ومؤمن كل الإيمان بأن الغلبة له. ولكن مع ذلك لم يستعمل كل هذه القوة بدون إذن، انتظر حتى يأتيه الأمر من السماء ليبدأ حواراً وسرعان ما نزل الأمر من السماء المتمثل في قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك﴾، وبمجرد هذا الأمر ألقى موسى عصاه، فإذا هي تفعل الأفاعيل بسحرهم، وهنا كانت الغلبة لموسى عليه السلام، وقهر فرعون قومه فما كان من السحرة بعد هذه الرؤية الواضحة إلا أن يخروا ساجدين مؤمنين بالله تعالى وبينه موسى عليه السلام، قائلين: آمناً برب العالمين رب موسى وهارون.

\* \* \*

والآيات: ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، توضح مشهداً لفرعون المفتون بنفسه، فبعد أن رأى الحق بعينه استبد به الطغيان منكراً على السحرة هذا

الإيمان، وهذه الجراءة من الانقياد لموسى بدون إذن.

وهذا أمر عجيب، إنه شأن الجبابة في كل زمان، فعلى الرغم من إحساسه بتهاوي عرشه، وتحطيم سلطانه ما زال يحلم بأنه صاحب الشأن، وأنه صاحب الأمر.

وأراد فرعون أن يوهم الناس أن إيمان السحرة لم يكن عن علم، ولكن عن اتفاق بينهم ليُذهِبوا مالكم وملككم.

وهدد فرعون السحرة بأنهم سوف يعلمون، فلهم ساعة من العذاب، تُقطع فيها الأيدي والأرجل ثم التصليب.

ولكن منطلق الإيمان جعل السحرة يسخرون بفرعون وقوته، وجنوده وسلطانه قائلين لهم: افعلوا ما شئتم فإننا منقلبون إلى الله.

وكانت الكلمة الأخيرة لهم أنهم دعوا ربهم أن يتحملوا هذا العذاب، ويصبروا عليه: «ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين».



### أساليب نحوية

أ - في الآية ٩٥ تعرب بغتة حالاً، وهي مصدر وضع موضع الحال.

ب - في الآية ٩٦ نضع أيدينا على أسلوب «لو» وهي تعلق الثاني بالأول، فإذا ما وجب الأول وجب الثاني، وإذا انتفى الأول انتفى الثاني.

ولو بهذا المعنى تشبه إن الشرطية من حيث التعليق. فـ «إن» تعلق الثاني بالأول الذي يمكن أن يكون، ويمكن ألا يكون كقولك: إن آمن هذا الكافر استحق الثواب وهذا مقدور. وليس الأمر كذلك بالنسبة لـ «لو» لأنها قد تدخل على ما لا يمكن أن يكون كقولك: لو كان الجسم قديماً لاستغنى عن صانع.

ج- وفتحت أنّ بعد «لو» لأنها وقعت في الموضع الذي يختص بالفعل فإن «لو» ليس يدخل إلا على الفعل.

وأنّ مع اسمها وخبرها في تأويل اسم مفرد، فيكون تقديره: لو وقع أن أهل القرى آمنوا، فيكون أنّ مع ما بعدها في موضع رفع بالفعل المقدر بعد «لو».

د - ودخلت همزة الاستفهام في الآية ٩٧ على حرف العطف من قوله: «أفأمن» «أو أمن» مع أن الاستفهام للاستثناف، والعطف بخلافه، لأنهما إنما يتنافيان في المفرد، لأنّ الثاني إذا عمل فيه الأوّل كان من الكلام الأوّل، والاستثناف قد أخرجته من أن يكون فيه. وأما في عطف جملة على جملة، فتصحّ لأنه على استثناف جملة بعد جملة.

هـ - «من عهد» ١٠٢ «من» معناها التبعيض، لأنه إذا لم يوجد بعض العهد لم يوجد الجميع.

«وإن وجدنا» إن هنا المخففة من الثقيلة، وإذا خفت جاز إلغاؤها من العمل، وأن يليها الفعل.

و - في الآية ١٠٣: كيف كان عاقبة المفسدين: موضع كيف نصب لأنه خبر كان، وتقديره: وانظر أي شيء كان عاقبة المفسدين.

ز - في الآية ١٠٥: «إلا الحق» بأنه مفعول القول على غير الحكاية بل على معنى الترجمة من المعنى دون حكاية اللفظ.

ح - في الآية ١١٠: «فماذا تأمرون» موضع «ما» يحتمل أن يكون رفعاً، ويكون «ذا» بمعنى الذي، فيكون بمعنى: فما الذي تأمرون؟ ويحتمل أن يكون نصباً، ويكون «ما» و «ذا» اسماً واحداً، ويكون بمعنى: فأي شيء تأمرون.

ط - في الآية ١١١ «يأتوك» مجزوم لأنه جواب الأمر.

ي - في الآية ١١٣: ﴿إن كنا نحن الغالبين﴾: «نحن» يحتمل أن يكون

فصلاً بين الخبر والاسم، ويحتمل أن يكون موضعه رفعاً، ويكون تأكيداً للضمير المتصل في «كنا».

ك - في الآية رقم ١١٧ ﴿ أن ألق ﴾ يجوز أن يكون أن مع ما بعدها من الفعل بمنزلة المصدر، فيكون تقديره: وأوحينا إلى موسى بأن ألق أي بالإلقاء. ويجوز أن يكون بمعنى «أي» لأنه تفسير ما أوحى إليه. ﴿ ما يأفكون ﴾ «ما» بمعنى الذي فتكون مفعولاً به.

ل - في الآية ١١٨: ﴿ ما كانوا يعملون ﴾ يحتمل أن تكون «ما» بمعنى المصدر أي وبطل عملهم، ويحتمل أن يكون «ما» بمعنى أي وبطل الحبال والعصي التي عملوا بها السحر.

م - في الآية ١١٩: ﴿ هنالك ﴾ دخلت اللام فيه ليدل على بعد المكان المشار إليه. ودخلت كاف الخطاب مع بعد الإشارة لتشعر بتأكيد معنى الإشارة إلى المخاطب، ليتنبه على بعد المشار إليه من المكان، والبعيد أحق بعلامة التنبيه من التقريب.



[انظر مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي].

### أساليب بلاغية

في هذا النص أساليب بلاغية متعددة، نكتفي بالإشارة إلى بعضها. فمن هذه الأساليب:

أ - الاستفهام الإنكاري في قوله تعالى: ﴿ أفا من أهل القرى ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿ أو أمن أهل القرى ﴾ في الآيتين رقم ٩٧، ٩٨.

(١) الأعراف: ٩٧.

ب - الاستفهام التقريري: في قوله تعالى: ﴿ أولم يهد للذين يرثون الأرض ﴾ الخ.

ج - في الآية ١٠١ في قوله تعالى: ﴿ كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ﴾ في الآية تشبيه، فقد قيل: إن الله سبحانه شقّ الكفر بالصدأ، لأنه يذهب عن القلوب بحلاوة الإيمان ونور الإسلام كما يذهب الصدأ بنور السيف، وصفاء المرأة.

د - في الآية رقم ١٠٥ تضمنين ففي قوله تعالى: ﴿ حقيقة على أن لا أقول ﴾: ضمنت «على» معنى الباء كما ضمنت الباء في قوله تعالى ﴿ بكل صراط توعدون ﴾<sup>(١)</sup> موضع «على».

هـ - في الآية ١١٣ سقطت الفاء من قوله تعالى: ﴿ قالوا إن لنا لأجراً ﴾ حتى يتصل الثاني بالأول، لأن المعنى: لما جاءوا قالوا، فلم يصلح دخول الفاء على هذا الوجه.

و - في الآية ١١٧: ﴿ فإذا هي تلفف ما يأفكون ﴾ إيجاز حذف أي فالفها فصارت حية فإذا هي الخ.

وحذفت الجملة للإيدان بمسارعة موسى عليه السلام إلى الإلقاء، وبغاية سرعة الانقلاب، كأن لَقَفَهَا لما يأفكون قد حصل متصلاً بالأمر بالإلقاء واختار صيغة المضارع في «تلفف» لاستحضار الصورة القريبة.

ز - في الآية ١١٨ في قوله تعالى: ﴿ فوق الحق ﴾ استعارة، فوقع بمعنى ثبت واستعير الوقع للثبوت والحصول، لأنه في مقابل: بطل، والباطل زائل.

وفائدة الاستعارة: الدلالة على التأثير، لأن الوقع يستعمل في الأجسام.

ح - في الآية ١١٩: ﴿ انقلبوا صاغرين ﴾: الانقلاب هنا مجاز عن الصيرورة، والمناسبة بينهما ظاهرة.

ط - في الآية ١٢٦ استعارة تبعية: فأفرغ بمعنى أفضّ فهي استعارة تبعية

تصريحية و «صبراً» قرينتها، والمراد هب لنا صبراً تاماً كاملاً.  
ومن الممكن أن تكون استعارة أصلية مكنية بمعنى: صبّ علينا ما  
يُطهرنا من الأثام، وهو الصبر على وعيد فرعون، و «أفرغ» تخيلية.





درس في الإيمان  
مِنْ سُورَةِ (الْمُؤْمِنُونَ)

من آية رقم ٨٤ - إلى آخر السورة

قُلْ لِمَنِ

الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ

قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبُّ

الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾

قُلْ مَنْ مِنْ يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ

عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى

تُسْحَرُونَ ﴿٨٦﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٧﴾  
 مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ  
 كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ  
 اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٨﴾ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى  
 عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٨٩﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِينِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٠﴾  
 رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩١﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ  
 نُزِيلَكَ مَا نَعُدُّهُمْ لِقَدَرُونَ ﴿٩٢﴾ أَدْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ  
 السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٣﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ  
 هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٤﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٥﴾  
 حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٦﴾  
 لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا  
 وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٩٧﴾ فإِذَا نُفِخَ

فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾  
 فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾  
 وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ  
 فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا  
 كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ أَتِنَىٰ عَلَيَّكُمْ فَاكُنْتُمْ بِهَا  
 تُكَّذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا  
 ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا عُدْنَا فَانَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾  
 قَالَ أَخْسَعُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ  
 عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ  
 الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَأَنجَذْنَاهُم بِخَيْرٍ يَا حَتَّىٰ أَنسَوُكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ  
 مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ  
 هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ قَلَّ كَرِّ لَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾

قَالُوا لَبَنَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَعَلَ الْعَادِينَ ﴿١١٢﴾ قُلْ إِنْ  
 لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٣﴾ الْحَسِبْتُمْ أَنَّمَا  
 خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ عَلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴿١١٤﴾ فَتَعَلَى اللَّهِ  
 الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٥﴾  
 وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا  
 حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٦﴾  
 وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٧﴾

## الكلمات اللغوية

- الملكوت: المُلْك على سبيل المبالغة.  
يجير ولا يجار عليه: يقال: أجزت فلاناً على فلان: إذا أغثته.  
تُسْحَرُونَ: تخذعون، والخادع هو الشيطان والهوى.  
همزات: جمع همزة، والهمزة: الغمز، والدفع، والضرب، همز يهيمز  
بكسر الميم وضمتها في المضارع. والهمزة: الغماز.  
ارجعون: المخاطبون هم الملائكة الذين يقبضون الأرواح وهم  
جماعة، وذكر «الرَّب» للقسم كأنه قال: بحق الرب ارجعوني.  
أن يحضرون: أي من حضورهم حولي في حال الصلاة أو قراءة القرآن  
أو وقت حلول الأجل.  
ومن ورائهم: ومن أمامهم، فواء بمعنى أمام.  
البرزخ: الحاجز بينهم ويسن الرجعة.  
غلبت علينا شقوتنا: مَلَكْتَنَا، من قولك: غلبني فلان على كذا: إذا  
أخذته منك، والشقاوة: سوء العاقبة.  
أخسثوا فيها: ذلّوا وانزجروا كما تزجر الكلاب إذا زجرت.  
ولا تكلمون: ليس هذا نهياً لأنه لا تكليف في الآخرة بل المراد: لا  
تكلمون في رفع العذاب، فإنه لا يرفع.  
الصور: القرْن، والنفخ فيه لقيام السّاعة، وهي النفخة الثانية.

فلا أنساب بينهم: أي لا تنفعهم أنسابهم شيئاً - فهي بمنزلة العدم لعظم الهول.

ولا يتساءلون: أي لا يسأل بعضهم بعضاً بهذه الأنساب.

ثقلت موازينه: موازنات حسناته من العقائد والأعمال.

تلفح وجوههم النار: اللفح: حسّ لهيب النار لشيء، والمراد: تحرق وجوههم النار.

كالحون: متقلصوا الشفاه عن الأسنان من أثر ذلك اللّفح.

سخرياً: أي هزواً. وقرىء بضم السين ومعناه: الاستخدام من غير أجره، والكسر معناه: الاستهزاء وهو مصدر في كلتا القراءتين زيدت فيه ياء النسب للمبالغة كما في أحمرّي.

العادّين: المتمكّنون من العدّ، أو الملائكة - العادّين لأعمال العباد.

إن لبثم: ما لبثتم.

## المعنى الإجمالي

الآيات من ٨٤ - ٩٠

القرآن الكريم في هذه الآيات يقرّ حقيقة طالما أنكرها الكافرون وهي حقيقة البعث، فقبل هذه الآيات التي عرضناها ظهرت قضية الإنكار للبعث في وضوح حينما حولوا هذه الحقيقة إلى أسطورة وكرّروا إنكار البعث بالأسلوب الذي تكرّر على السنة آبائهم.

وفي هذه الآيات يشير فيهم القرآن الكريم حقائق لا تقبل الجدل والنقاش فإذا ما استسلموا لهذه الحقيقة فمن البدهي أن يستسلموا لحقيقة البعث التي طالما أنكروها.

من هذه الحقائق وهي حجج سافرة وأدلة باهرة:

أ - حقيقة الأرض، من بسطها، من ملكها، من دبّر شؤونها؟ لسان الحال يقول: هو الله.

ب - حقيقة السموات السبع: وهي ملك عجيب تحار فيه العقول، ولا يدبر هذا الملك إلا خالقه.

ج - حقيقة العرش وهو رمز الاستعلاء والهيمنة والعظمة.

د - حقيقة ملكوت كل شيء، وما أعظم هذا التعبير، فلكل شيء دولة ولكل شيء ملكوت، فمن يملك هذا كله، من كل هذا الملكوت بما عظم فيه وما دق، وما كبر، وما صغر؟.

لسان الحال يقول: الملكوت ملكوت الله، فإذا ما هذا الوهم وما هذا الضلال فأنتم مسحورون.

هـ - حقيقة القوّة التي ليس بعدها قوة، القوة التي من استجار بها أنقذته مما حل بها.

كل هذه الحقائق مشاهدة للعيان، لا ينكرها عقل أو يجحدها فكر، وما دام الأمر كذلك فمن السهل على من يملك هذه الحقائق أن يعيدكم كما بدأكم.

بعد هذا العرض الجدليّ لهذه الحقائق يهجم عليهم القرآن بتقرير لا يحتمل أدنى شك وهو أننا أتيناهم بالحق، ولكن لسوء طباعهم، وشدة انحرافهم كذبوا به.



الآيات من ٩١ - ١٠٠

أكد الله تعالى في هذه الآيات أنه إلى جانب حقيقة البعث حقيقة أخرى هي أنه ليس بشراً مخلوقاً له ولد، فإن هذا من صفات المخلوقين، أما الخالق فهو الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وإلى جانب نفي الولادة أيضاً نفي الشركة في الخلق، إنها لو كانت كما يتصورون لذهب كل إله بما خلق، ودارت بينهما الحرب ليعلو كل إله على الآخر، وفي هذا ما فيه من فساد الكون، وخراب الدنيا لأن الكون لا يدين إلا لواحد، ولأنّ الدنيا لن يستقيم أمرها إلا بتدبير إله واحد.

لهذا نزه الله سبحانه وتعالى نفسه من هذه الظنون الواهمة، والخيالات الكاذبة، لأنه عالم الغيب والشهادة، فتعالت عظمته، وتسامت ألوهيته عن صفات المخلوقين.

وهؤلاء المشركون الذين لعب الشيطان بعقولهم إلى هذا الحد من الافتراء على الله عرضة للعقاب.

وهنا يعلم الله تعالى نبيه عليه السلام، ويربّيه هذه التربية الرائعة بقوله: **وقل ربّ إما ترينى ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين.**

أدب عظيم في التربية أن يلجأ النبيّ عليه السلام إلى ربه حينما يحل العذاب على قومه، وهو في مأمن من أن يصيبه عذاب قومه، ولكن هذا الدعاء للتربية، وشدة الاتصال بالله تعالى، وزيادة في التّوقي.

وفعلًا قد أراه الله تعالى بعض ما وعدهم به من العذاب في غزوة بدر ثم في الفتح العظيم.

والسّورة مكيّة، والسّور المكيّة معظمها يدور حول الصبر والتحمل حتى تقوى شوكة المسلمين، ولذلك كان من منهج الدعوة أن يقابل المسلمون سيئات المشركين بالحسنى: «ادفع بالتي هي أحسن السيئة».

وللمسلمين أعداء آخرون غير المشركين من بني البشر وهم الشياطين. فعلم الله نبيّه من باب التربية أن يستعيد من همزاتهم مع أنه معصوم منهم لزيادة التّوقي، والمبالغة في التحري من ناحية ولتعليم أمته هذا المنهج التربويّ من ناحية أخرى.

وينتهي هذا النص بمشهد مثله الآيتان رقم ٩٩، ١٠٠، مشهد هؤلاء الذين عميت قلوبهم عن الحق في الدنيا، وأضلّتهم الشياطين وكثر فيهم من همز الشياطين ما كثر، والتّفوا حولهم أقوى ما يكون الالتفاف حتى حالوا بينهم وبين الحقيقة.

وحينما كشف الغطاء، وجاء الأجل، وأعلن الموت عن نفسه عرفوا

حقيقة وضعهم، وسوء مآلهم فنادوا ربهم متذللين أن يعيدهم ليبدءوا من جديد، ولكن هيهات هيهات، فمن مات فلا رجعة له، لأن الموت قد أغلق الأبواب أمام العودة وأسدل الستار، وأنهم سيقضون أيامهم قبل البعث في البرزخ، فلا هم من أهل الدنيا، ولا هم من أهل الآخرة حتى يأتي ذلك اليوم العظيم وهو يوم البعث.



### الآيات ١٠١ - ١١٠ :

في هذه الآيات تصوير لليوم الآخر، وهو تصوير رهيب ففي هذا اليوم توضع الأنساب، وترتفع الأعمال، تنهاوى قيم، وتعلو قيم، تنهاوى قيم الأنساب الكاذبة، وتعالى قيم التقوى والإيمان.

وفي هذا اليوم يثقل ميزان، ويخف ميزان، فميزان التقوى والإيمان ثقيل بالأعمال، وميزان الباطل والكفر خفيف وصورة الميزان صورة حركية وحسية، فالقرآن الكريم في أسلوبه الرائع يضع المعاني مجسمة في صور محسوسة، ليقرع بها عقل الإنسان حتى يستيقظ من غفلته.

وما أفظع مشهد النار وهي تفتح الوجوه، وجوه الذين خسروا أنفسهم، فتتحول هذه الوجوه إلى وجوه ذات كدرة عليها غبرة.

ويتبع هذا المشهد مشهد آخر يتحول فيه الأسلوب إلى المخاطبة والمواجهة بعد أن كان قبل ذلك أسلوب حكاية وإخبار ويبدأ هذا الأسلوب بالحوار ليثير في نفوسهم الندم: ألم تكن آياتي تتلى عليكم؟ فلم تكذبوا بها؟ فلا يملكون إلا أن يجيبوا بالاعتراف الواضح الصريح: إن شقوتهم غلبت عليهم وأنهم ضلوا عن الجادة، وانحرفوا عن الحق:

وكان هذا الحوار مدّ لهم حبل الأمل، فبعد اعترافهم الحقوا في طلب العودة رجاء أن يعملوا عملاً صالحاً، وسرعان ما تبدد أملهم، وخاب ظنهم

بقوله تعالى: ﴿اخشثوا فيها ولا تتكلمون﴾. ومن أذن لكم أن تنطقوا هذا الكلام الذي لا معنى له ولا قيمة.

كيف تتصورون أن يُقبل رجاؤكم وأنتم أجرتم مرتين مرة في حق أنفسكم بتكذيبكم وكفركم ومرة في حق المؤمنين حيث اتخذتموهم سخرياً، وضحكتم منهم، واستهزأتم بهم فكيف يتحقق طلبكم ويجاب رجاؤكم، والإجرام فيكم عريق، فهؤلاء الذين سخرتم منها. انظروا إليهم أين مكانهم؟ قارنوا بينكم وبينهم، فأنتم في جهنم خالدون وهم في النعيم مقيمون.



الآيات: ١١١ إلى آخر السورة:

بعد هذا الرد القاسي الذي وجه إليهم حينما قدموا رجاءهم تبعه حوار جديد:

سؤال وجه إليهم من الله تعالى وهو عليم بإجابته، ولكنه سؤال يخرجهم ويقلقهم وهو: كم لبثتم في الأرض عدد سنين؟ فكانت الإجابة إن مكثنا مهما طال وأيامنا مهما تعددت في الدنيا فما هي بالنسبة لنا إلا يوم أو بعض يوم، ونحن بحسب قدرتنا المحدودة لا نعرف كم مكثنا في الأرض أو كم مكثنا في القبور قبل البعث على رأي آخر، والذي يعلم ذلك كل العلم هم العادون والمراد بهم الملائكة.

وكان الرد الحاسم: أنتم ما لبثتم إلا قليلاً بالقياس إلى ما أنتم مقبلون عليه إذا كنتم تحسنون التقدير.

وعودة أخرى إلى السخرية بهم وتبكيتهم وهو المشهد الأخير من هذه المَلذّات، فهل فكروا بعقولهم وتدبروا بأفكارهم أن الحياة ما خلقت عبثاً، وأن هناك بعثاً وعقاباً، وأن هناك إلهاً واحداً ليس له شريك في سلطانه أو في ملكوته.

وتنتهي السورة بدعوة النبي عليه السلام أن يدعوره بالمغفرة والرحمة.

## الأساليب النحوية

﴿ إذاً لذهب كل إله بما خلق ﴾ : آية ٩١ . «ما» موصولة حذف عائدها .

﴿ عالم الغيب ﴾ آية ٩٢ .

بدل من الاسم الجليل أو صفة له . وقرئ بالرفع ، فهو خبر مبتدأ محذوف ، وفائدته التوكيد .

والجرّ على الصفة أو البدلية هو الاختيار ليتصل بعض الكلام ببعض ، ويكون كله جملة واحدة .

﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾ آية ٩٢ .

الفاء عاطفة كأنه قيل : عالم الغيب والشهادة فتعالى كما تقول : محمد شجاع فعظمت منزلته على معنى : شجع فعظمت .

﴿ فلا تجعلني ﴾ آية ٩٤ .

الفاء جواب الشرط ، وهو قوله تعالى : ﴿ إما تريني ﴾ والنداء معترض بينهما .

﴿ وإنا على أن نريك ﴾ آية ٩٥

﴿ على ﴾ متعلقة بقوله تعالى : ﴿ لقادرون ﴾ .

﴿ فمن ثقلت موازينه ﴾ ، ﴿ ومن خفت موازينه ﴾ آيتا ١٠٢ ، ١٠٣ .

«من» فيهما : اسم موصول ، مشار إليه بـ «أولئك» ، وجمعه باعتبار المعنى ، وأفرد الضميرين في الصلتين باعتبار اللفظ .

﴿ في جهنم خالدون ﴾ خبر ثان لـ «أولئك» وجاز أن تكون خبر مبتدأ محذوف ، أي هم خالدون في جهنم .

﴿ تلفح وجوههم النار ﴾ . آية ١٠٤

جملة حالبة أو مستأنفة .

﴿ إني جزيتهم اليوم بما صبروا ﴾ آية ١١١ .

- جملة مستأنفة لبيان حسن حالهم. والباء في «بما صبروا» للسببية.
- ﴿أنهم هم الفائزون﴾
- أنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر يعرب مفعولاً ثانياً لقوله تعالى:
- ﴿جزيتهم﴾.
- ويجوز أن يكون أنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام  
التعليلية بتقدير: لفوزهم بالتوحيد المؤدي إلى كل سعادة.
- ﴿عدد سنين﴾ آية ١١٢.
- تمييز لـ «كم»، و «كم» ظرف زمان للبتيم.
- ﴿عبثاً﴾ آية ١١٥.
- حال صاحبها نون العظمة أو مفعول لأجله.
- ﴿لا برهان له﴾ آية ١١٧.
- جملة معترضة بين الشرط والجزاء جيء بها للتأكيد، وجواب الشرط  
جملة: «فإنما حسابه».

### الأساليب البلاغية

- آية ٨٤: ﴿وَمَنْ فِيهَا﴾ التعبير بـ «مَنْ» لتغليب العقلاء على غيرهم.
- آية ٨٦ وغيرها ﴿قل لمن إلا من - قل من رب - قل من بيده الأمر في  
الآيات مراد به التبكيت والتوبيخ.
- أفلا تذكرون - أفلا تتقون: الاستفهام يراد به الترغيب والتدبّر،  
واستعمال العقل: وإفحامهم، وقطع الحجة عليهم.
- تكرار لفظ: «رب» مع العرش تنويهاً بشأن العرش، ورفعاً لموضعه  
ومكانته من أن يكون تبعاً للسموات وجوداً وذكراً.
- آية ٨٨: ﴿ولا يجار عليه﴾ فيها تضمين حيث عدّ الفعل بـ «على»  
لتضمينه معنى النصر والاستعلاء.

في هذه الآيات السابقة روعي التّرقّي في السؤال: فسئل عمّن له الأرض، ومَنْ فيها، ثم سئل عمّن له السموات والعرش العظيم، والأرض بالنسبة إلى العرش كلا شيء ثم سئل عمّن بيده ملكوت كل شيء، فأتى بأعمّ العام.

مراعاة الترقّي في الفواصل، فعَيروا أولاً بالجهل لأن مجرد العلم بذلك يوجب عليهم الإيمان.

وعيروا ثانياً بعدم التذكّر، فإن أيسر النظر يكفي في الإيمان بهذه الحقيقة.

وعَيروا ثالثاً بعدم الاتّقاء وفي هذا وعيد شديد. وعَيروا رابعاً بالتعجب من خداع عقولهم فتخيّل الباطل حقاً، والحقّ باطلاً، فكانها عقول مسحورة لا تعي من أمرها شيئاً.

﴿ بيده ملكوت كل شيء ﴾ التعبير بكلمة «يده» تصوير وتخييل ليكون ذلك أوقع في النفس، وأشدّ تأثيراً في القلب.

آية ٩١: ﴿ إذا ذهب ﴾ إيجاز حذف، فالقسم محذوف، و«لذهب» جوابه، والتقدير: والله إذا إن كان معه من إله لذهب، وهو في معنى: «ليذهبن».

آية ٩٦: ﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ أبلغ من: ﴿ ادفع بالحسنة السيئة ».

وأفعل التفضيل: «أحسن» يؤدي معنى ادفع بالحسنة التي هي أحسن الحسنات السيئة بأن تحسن إلى المسيء في مقابلتها ما استطعت.

ودون هذا في الحسن أن يحسن إليه في الجملة، ودون أن يصفح عن إساءته فقط، والمفاضلة في أفعل التفضيل، وهو: «أحسن» على حقيقتها.

آية ٩٧: ﴿ همزات الشياطين ﴾ في هذه الآية مجاز لأن المراد

بالمهزات الوسواس المغرية، وإطلاق ذلك على الوسوسة، لما بينهما من الشبه الظاهر.

وجاءت المهزات بصيغة الجمع لتنوع الوسواس أو تعدد الشياطين.  
آيتا ٩٧، ٩٨ تكررت الإعادة مع تكرار النداء في «رب» لإظهار كمال الاعتناء بالمأمورين.

آية ٩٩: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ في الآية إيجاز حذف فقد حذفت الجملة قبل «حتى» للدلالة ما بعد «حتى» على ما قبلها، فد «حَتَّىٰ» هنا ابتدائية، وغاية لمقدّر يدلُّ عليه ما قبلها، والتقدير: فلا أكون كالكفار الذين تهزمهم الشياطين، وتحضرهم حتى إذا جاء إلخ.  
ونظيره قول الشاعر:

فواعجباً حتى كليب تسبني كأن أباهما نهشل أو مجاشع<sup>(١)</sup>

قال ابن هشام:

ولا بدّ من تقدير محذوف قبل حَتَّىٰ في هذا البيت تكون ما بعد حَتَّىٰ غاية له أي فواعجباً يسبني الناس حتى كليب تسبني.

﴿جاء أحدهم الموت﴾ المراد أمارات الموت أو علامته.

آية ١٠٠: ﴿كَلِمَةٌ هَوَّاءٌ﴾ الكلمة المراد بها الكلام ففيها مجاز.  
﴿هو قائلها﴾ تقديم المسند إليه للاختصاص، ومعنى ذلك أنه لا يجاب إليها ولا تسمع منه.

﴿لعلي أعمل صالحاً﴾ المراد بـ «لعلّ» اليقين، وليس الشك فإنه في هذا الوقت عازم على الطاعة إن أعطى ما سأل.

آية ١٠١: ﴿إِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ﴾ مجاز، المراد منه البعث، والحشر.

آية ١٠٢: ﴿ثَقُلْتَ مَوَازِينَهُ﴾ استعارة من العدل، والموازن هي الأعمال الحسنة أو الأعمال السيئة.

(١) للفرزدق، وانظر المغني ١ / ١٣٧.

آية ١٠٤ ﴿ تَلْفَحْ وُجُوهَهُمُ النَّارَ ﴾ تقديم الوجوه على الفاعل، وتخصيصها بالحرق . لأنها أشرف الأعضاء فبيان حالها أجز عن المعاصي المؤدية إلى النار.

آية ١٠٥ ﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكَ ﴾ إيجاز حذف على إضمار القول، أي يقال لهم توبيخاً: أَلَمْ تَكُنْ الْخ.

آية ١٠٦ ﴿ غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ تصوير الشقاوة واستبدادها في نفوسهم بأنهم غلبتهم، وسيطرت عليهم تصوير مجازي .

آية ١١٢: ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ استفهام مراد به التوبيخ على إنكارهم الآخرة.

آية ١١٣: ﴿ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ كناية عن قصر الدنيا.

آية ١١٤: ﴿ لَوْ أَنكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ حذف جواب لو الشرطية لبلاغة الإيجاز. والمعنى أي لو كنتم تعلمون لعلمتم يومئذ قصر الدنيا.

آية ١١٥: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ . إيجاز حذف، والتقدير: أَلَمْ تَعْلَمُوا شَيْئًا فَحَسِبْتُمْ إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا الْخ.

آية ١١٦: ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ إسناد الكرم إلى العرش مجازي، والمراد: الكريم ربه، وقيل هو على تشبيه العرش لنزول الرحمة والبركة منه بشخص كريم:

آية ١١٧: ﴿ لَا بُرْهَانَ لَهُ ﴾ جملة معترضة بين الشرط والجزاء، وهي لون من ألوان المعاني البلاغية في مجال الإطناب حيث يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب مثل قول النابغة الجعدي:

ألا زعمت بنو سعد - بأنني ألا كذبوا - كير السن فاني



(٦٨) سُورَةُ الْهٰكِمَةِ  
وَآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ  
بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ  
لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتَبْصُرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ  
الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ  
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾  
وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ  
مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعٍ لِلْغَيْرِ مُعْتَدٍ  
أَيْمٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَتْ  
ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ  
الْأُولَٰئِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا

بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَبَصَرِ مِنْهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾  
 وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ  
 وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا  
 مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ آغِدُوا عَلَيْنَا حَرَثَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ  
 صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ  
 لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ  
 قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ  
 نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا  
 تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ أَنَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾  
 فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يٰلَوْلَا  
 إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴿٣١﴾ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا  
 إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ  
 أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ

جَنَّتِ النَّعِيمَ ﴿٣٤﴾ أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾  
 مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ  
 تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَحْيُرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَّ  
 عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾  
 سَلِّمُوا بِهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا  
 بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ  
 سَاقٍ وَيُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَشَعَةٌ  
 أَبْصَرُوهُمْ تَهْقُوهُمْ ذَلَّةً ۗ وَقَدْ كَانُوا يُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ  
 وَهُمْ سَالُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ  
 سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَمَلِي لَهُمْ  
 إِنْ كَيْدِي مَنِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ  
 مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾  
 فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ

نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَن تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِّنْ  
 رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ  
 فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 لِيُزِلُّوكَ يَا بَصْرِيهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ  
 لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

## سورة القلم

### عناصر

- = دفاع عن الرسول ﷺ، وهجاء لمشركي قريش.
- = مثل حيّ في قصة أهل الجنة للندم بعد معرفة الحقيقة وهو عبرة لمشركي قريش.
- = تهديد كبير لمن يكذب بالقرآن الكريم.
- = دعوة للرسول عليه السلام بالصبر حتى لا يكون كيونس عليه السلام لما فاته الصبر حلّ به ما حل.

### تمهيد

سورة القلم من أوائل ما نزل من القرآن بمكة، فقد روى ابن عباس نزلت اقرأ، ثم هذه، ثم المزمّل، ثم المدثر.

وهي مكية بلا خلاف ومناسبتها لما قبلها أن الله تعالى في آخر سورة المُلْك هدّد بتغویر الماء، فاستدل في هذه السورة على أن ذهاب الماء أمر سهل بالنسبة لذهاب ثمر أصحاب البستان في ليلة بطائف طاف عليها وهم نائمون فأصبحت أثراً بعد عين، وإذا كانت الثمار وهي أجرام كثيفة حل بها ما حل فالماء الذي هو لطيف أقرب إلى الذهاب.

## الكلمات اللغوية

ن: أقرب الآراء إلى نفسي أنه اسم للسورة جاء على صورة الحرف لينبه الأذهان إلى أن القرآن عربي، ومن ثم فباب التحدي مفتوح إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

القلم: هو قلم اللوح، وهو أول شيء خلقه الله تعالى أو قلم الكرام الكاتبين أو القلم آلة التحرير.

وما يسطرون: أي يكتبون.

والتعبير بضمير الجمع بالنسبة إلى القلم مختلف المعنى فإن كان القلم الذي في أيدي الناس، فالمراد به الجنس فضمير الجمع لتعدده.

وإن كان المراد به قلم اللوح فالتعبير عنه بضمير الجمع التعظيمية. النعمة: الرحمة.

ممنون: أي أجر غير مقطوع مع عظمه، أو غير ممنون عليك من جهة الناس، فإن عطاء الله تعالى بلا واسطة لأنه كريم، ومن شأن الكريم ألا يؤمن بإنعامه.

ومنّ عليه: أنعم، ومنّ عليه أيضاً: امتنّ عليه. والمنّ يحمل معنى القطع أو النقص.

والمنون: الدهر أو المنيّة، لأنها تقطع الحياة، وتنقص الأيام.

المفتون : المجنون، وأطلق المفتون على المجنون، لأنه فُتِن أي مُجِن بالجنون.

لأجرأ : ثواباً.

ممنون : أي غير مقطوع ولا منقوص، يقال: مننت الحبل إذا قطعته، وحبل منين: إذا كان غير متين.

الخلق : هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب يسمّى خُلُقاً، لأنه يصير كالخُلُقَة فيه.

وأما ما طبع عليه من الأدب فهو الخيم بالكسر: السجية والطبيعة لا واحد له من لفظه..  
والخلق في الآية: القرآن - أو أدب القرآن - أو الدين العظيم.

فستبصر ويصرون : فستعلم ويعلمون يوم القيامة حتى يتبين الحقّ والباطل.

المفتون : أي الذي فتن بالجنون. أو المراد: الفتنة. وهو مصدر على زنة المفعول، ويكون معناه: الفتون، كما قالوا: ما لفلان مجلود ولا معقول، أي لا عقل ولا جلادة.

لو تدهن : لو تكفر أو لو تَلِينُ، أو تكذب، أو تخون

الحلاف : كثير الحلف.

مهين : ضعيف القلب.

همّاز : من يهزم الناس بيده ويضربهم، واللمّاز من يؤذي الناس بلسانه. وهما للمبالغة.

مشاء : صيغة مبالغة: أي يمشي بالنميمة للإفساد، يقال: نمّ ينمّ نمّاً ونمياً.

أثيم : أي ذي إثم.

العتلّ : الجافي الشديد في كفره.

الزئيم : الدعيّ الذي ليس له أب ينتمي إليه .

أساطير الأولين : أباطيلهم وخرافاتهم .

سنسّمه : سنخطمه بالسيف أو نجعل على أنفه سِمَةً أي : علامة .

الخرطوم : الأنف من الإنسان ، ومن السّباع موضع الشفة ، وخراطيم القوم : ساداتهم .

بلوناهم : أي أصبنا أهل مكة ببلية ، وهي القحط .

أصحاب الجنة : أصحاب البستان ، وخبر البستان هذا معروف عند أهل مكة .

ليصرمنّها : ليقطعن ثمارها .

ولا يَسْتَتُونَ : أي لا يقولون : إن شاء الله ، وسمي استثناء مع أنه

شرط ، لأن مؤداه مؤدَى الاستثناء فإن قولك : لأخرجنّ إن شاء الله تعالى : ولا أخرج إلا أن يشاء الله تعالى بمعنى واحد .

فطاف عليها : أي أحاط بها .

الصريم : البستان الذي صرمت ثماره فهو فعيل بمعنى مفعول .

تتادوا : نادى بعضهم بعضاً .

اغدوا : اخرجوا .

حرثكم : بستانكم .

يتخافتون : يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة .

حرد : منع من قولهم : حاردت الإبل : إذا قلت ألبانها .

أوسطهم : أحسنهم وأرجحهم عقلاً .

تسبحون : تذكرون الله تعالى ، وتتوبون إليه .

يتلاومون : يلوم بعضهم بعضاً .

تدرسون : تقرأون .

زعيم : أي قائم يتصدى هذا الحكم الخاطيء الخارج عن المعقول .

ترهقهم : تلحقهم .

سنستدرجهم : نستزلهم إلى العذاب درجة درجة بالإمهال، وإدامة الصِّحة، وازدياد النعمة.

وأملى لهم : أي أمهلهم ليزدادوا إثماً.

الكَيْدُ: ضَرْبٌ مِنَ الاحْتِيَالِ لِكَوْنِهِ فِي صُورَتِهِ حَيْثُ إِنَّهُ سَبْحَانَهُ يَفْعَلُ مَعَهُمْ مَا هُوَ نَافِعٌ لَهُمْ ظَاهِراً، وَمَرَادُهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ الضَّرْرَ لِمَا عَلِمَ مِنْ خُبْرَتِهِمْ، وَتَمَادِيهِمْ فِي الْكُفْرِ.

متين : لا يدفع ولا يقهر.

مفرم : غرامة.

مثقلون : مكلفون حملاً ثقيلاً.

الغيب : المغيبات، وقد يطلق على اللوح مجازاً لأنه محلُّ لكتابة المغيبات.

لِحُكْمِ رَبِّكَ : هُوَ إِمْهَالُهُمْ وَتَأْخِيرُ نَصْرَتِكَ عَلَيْهِمْ.

صاحب الحوت : يونس عليه السلام.

مكظوم : أي مملوء غيظاً من كظم السُّقاء: إذا ملاه.

فاجتباه ربه : اصطفاه.

يزلقونك : يزلون قدمك فيرمونك مبالغاً في عداوتهم حتى كأنها سرت من القلب والجوارح إلى النظر فعاد يعمل عمل الجوارح.

### المعنى الإجمالي لسورة القلم

تصوير رائع في موقف الدفاع عن النبي ﷺ، والهجاء الذميمة بأحقق الصفات لهؤلاء الذين يحاولون أن يزحزحوا النبي الكريم عن رسالته، وذلك

برميه بالجنون تارة، واستعمال اللين معه تارة أخرى.

انتقل القرآن الكريم بعد ذلك نقلة أخرى تتمثل فيما يأتي:

١ - تهديد أهل مكة وإصابتهم لعتوهم وكبريائهم بالقحط الشديد وربط هذا التهديد بقصة أهل الجنة التي يعرفونها حق المعرفة عن طريق الأخبار المتوارثة حيث بغى أصحابها وطفوا، وتجاوزوا الحق إلى الضلال، والخير إلى الشر فمنعوا ثمارها عن الفقراء والمساكين فبعد أن كانت ثمرة يانعة أصبحت في لحظة قصيرة كالصريم، وهنا استبدت بهم الحيرة، وغشيتهم الرهبة، وامتلك نفوسهم الخوف حيثما علموا أن قدرة الله تعالى لا يقف في طريقها شيء، لأن أمره تعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون:

٢ - ومن خلال هذا الابتلاء ثابوا إلى رشدهم، واعترفوا بخطيئتهم، وقالوا: إنا لضالون، وباليات الأمر يقف عند الضلال فقط، فقد يئس نفوسهم، وبلغ بهم التشاؤم إلى الغاية، فقالوا: إننا محرمون من كل خير، وتعلقت آمالهم بالله صاحب القدرة.

ومن هنا بعد أن بلغ اليأس مبلغه، وقف بينهم أرشدهم عقلاً، وأقوامهم فكراً، وأعدلهم رأياً، ليقول لهم: إنكم لم تعملوا لله حساباً في تصرفاتكم، لأنكم إن ذكرتم الله لما تجرأتم أن تسيروا في هذا الطريق الشائك.

٣ - وهذه الصورة الياثسة قابلها القرآن الكريم بصورة أخرى تشرق بالأمل وتصفو بالإيمان صورة المتقين الذين يمتلكون جنات النعيم التي حرّمها الله على المجرمين، ولم يحرمها؟ لأنها العدالة التي تفرّق بين المسلم والمجرم، بين الطيب والخبيث.

وهذه العدالة أمرٌ تعرفه الفطرة السليمة، ومع ذلك فقد تجردوا عن هذه الفطرة، وبالغوا في أحكامهم كأنهم تلقوها من كتاب يدرسون فيه،

أو كأنهم أخذوا علينا عهداً أننا ننقذ ما يرغبون فيه، وما تطمح إليه نفوسهم من الظلم والظغيان.

ثم يوجه الله تعالى الخطاب لنبية عليه السلام، فيقول له: سلهم من صاحب هذا الفكر المعوجّ الخارج عن دائرة العقول؟ وهو توييخ وتهديد، وإنكار لهذا الانحراف.

وسلهم أيضاً: هل لكم شركاء في هذه الآراء الفاسدة وخططاء في هذا التفكير المعوجّ؟.

إن كان الأمر كذلك، فهاتوا هؤلاء الشركاء لنفضحهم كما فُضِّحْتُمْ، ونكشف أمرهم كما كُشِفَ أمرهم.

٤ - ثم يعرض القرآن الكريم مشهداً من مشاهد يوم القيامة يوم يكشف عن ساق، يوم يحاولون أن يرجعوا إلى دنياهم مرةً أخرى ليسجدوا لله، وينقادوا إليه، ولكن هيهات هيهات، إنها الآخرة ولا رجعة فيها إلى الدنيا.

٥ - ثم يعود القرآن الكريم مرةً أخرى ناصراً نبيةً، مهدداً قومه بأسلوب يملأ النفس رهبة، وهو المتمثل في قوله تعالى: ﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾ وهو القرآن الكريم إننا نملي لهم ونمهلهم حتى نأخذهم أخذ عزيز مقتدر، لأنهم يستحقون ذلك العذاب حيث لم يستمعوا إليك مع أنك لم تسألهم أجراً على هذا التبليغ، كأنهم يملكون الغيب وسيطرون على مقاليد الكون.

٦ - وتختتم هذه السورة بدعوة الرسول عليه السلام إلى الصبر والثبات مذكراً له بيونس الذي يشس من قومه، وهرب من رسالته، فالتقمه الحوت.

وإن ثباتك هذا مهما صوّبت إليه سهام عيونهم، فإنهم لم يستطيعوا أن يبلغوا إليك، أو يؤثروا فيك، لأن الله ناصرك ومؤيدك.

## الأساليب النحوية

في الآيات من ١ - ١٦

نون : في موضع نصب من وجهين :

أحدهما : أن يكون تقديره : إقرأ نون .

الثاني : أن يكون تقديره : أقسم بنون، فحذف حرف القسم، فاتصل

الفعل به فنصب .

وعلى هذا الوجه الأخير يكون : ﴿ ما أنت بنعمة ربك ﴾ جواب القسم .

والباء الثانية في : «يمجنون» زائدة لتأكيد النفي .

ومجنون خبر «ما» .

والباء الأولى في قوله : بنعمة ربك للملابسة، والجار والمجرور «بنعمة

ربك» في موضع الحال، والعامل فيها النفي .

والمعنى : انتفي عنك الجنون في حال كونك مليئاً بنعمة ربك . وحاصل

الكلام : أنت منزّه عما يقولون .

بأيكم المفتون :

الباء زائدة - أو غير زائدة، والمفتون مصدر مثل المعقول أي بأيكم

الفتون إلى الجنون - أو بمعنى : «في» أي في أي طائفة منكم الجنون؟

إن ربك هو أعلم :

استئناف لبيان ما قبله، وتأکید لما تضمّنه من الوعد والوعيد .

«فيدهنون» : بثبوت النون، لأن عطفه على : «تدهن» ولم يجعله جواب

التمني .

﴿ أن كان ذا مال ﴾ .

أن كان مفعول له، تقديره : لأن كان ذا مال، واللام تتعلق بفعل

محذوف وتقديره : أيكفر لأن كان ذا مال .

ولا يجوز للام أن تتعلق بالفعل: «تتلى» لأن «إذا» مضافة إليه،  
والمضاف إليه لا يعمل في المضاف، ولا فيما قبل المضاف.

ولا يجوز أن تتعلق اللام بـ «إذا»، لأنه قال جواب الشرط، وجواب  
الشرط لا يعمل فيما قبل لفظ الشرط.

= الآيات من ١٧ إلى آخر السورة:

﴿ على حرد ﴾

جار ومجرور في موضع نصب على الحال، والتقدير: ﴿ وغدوا حاردين  
قادرين ﴾.

﴿ قادرين ﴾

حال أو خبر غدا.

﴿ ما لكم كيف تحكمون ﴾:

«ما» مبتدأ، و «لكم خبره» و «كيف» في موضع نصب على الحال،  
وعامله وصاحبه «فتحكمون».

لكم أيمان : مبتدأ وخبر، و «بالغة» صفة لـ «أيمان».

﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾

«يوم» منصوب والعامل فيه وجهان :

أ - أحدهما : أن يكون العامل فيه : «فليأتوا» .

ب - والثاني : أن يكون العامل فيه فعلاً مقدراً، وتقديره : واذكر يوم .

خاشعة : حال من المضمرة في : «يدعون» أو من المضمرة في :

«يستطيعون» .

أبصارهم : مرفوع بخاشعة .

وترهقهم ذلةً تحتمل وجهين :

أ - النصب على الحال .

ب - أن تكون مستأنفة لا موضع لها من الإعراب .

فذرني ومن، مَنْ في موضع نصب، لأنه معطوف على ياء المتكلم في: «ذري».

وهو مذموم: ابتداء وخبر في موضع نصب على الحال من المضمَر المرفوع في: «لُنْبِدْ».

﴿ وإن يكاد الذين كفروا ﴾

إن بمعنى «ما» واللام بمعنى إلا عند الكوفيين.

ومعناه: ﴿ وما يكاد الذين كفروا إلا يزلقونك ﴾ وهي عند البصريين مخففة من الثقيلة، واسمها مضمَر فيها، واللام للتأكيد، ولزمت هذا النوع لثلاثِ تَشْبِهٍ «إن» التي بمعنى «ما».

\* \* \*

### الأساليب البلاغية

من الآيات رقم ١ إلى رقم ٩٦

= إذا كان المراد بالقلم اللوح المحفوظ، فالتعبير عنه بضمير الجمع للتعظيم.

= وإن كان مراداً به القلم الذي يكتب به البشر، فضمير الجمع لتعدد هذه الأقلام.

= وإسناد الكتابة إلى القلم مجاز، لأن الذي يكتب هم الملائكة دون الناس.

= والتعبير عنه بضمير العقلاء لقيامه مقامهم.

وإن لك لأجراً: تقديم الجار والمجرور للاختصاص.

= حذف المفعول في قوله تعالى: ﴿ وما يسطرون ﴾ وفي ﴿ فستبصر ويبصرون ﴾، وفي ﴿ لو ندهن فيدهنون ﴾ وحذف المفعول إيجازاً عندما يعرف السامع في ذهنه معنى هذا المفعول.

وحذفه أيضاً يجعل ذهن السامع ينطلق إلى هذا المفعول متخيلاً ماذا يكون؟

وذكره يقلل من هذا الخيال، وتحديدهً يبدد الحيرة في الذهن، والموقف يتطلبها، ولهذا كان عدم ذكره أبلغ من ذكره.

= التذييل المؤكد في قوله تعالى: ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ والتذييل هو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها توكيداً لها، وهو قسمان:

أ - تذييل يجري مجرى المثال، ومثاله:

تزور فتى يعطي على الحمد ماله ومن يعط أثمان المحامد يُحمد

ب - وجار غير مجرى المثال كقوله:

لم يبق جودك لي شيئاً أوْمَلُهُ تركنتي أصحاب الدنيا بلا أملٍ

= في قوله تعالى: ﴿فلا تطع المكذبين﴾، ﴿ولا تطع كل حلاف﴾ نهى مراد به التهيج والإلهاب حتى يصمم ويبالغ في عدم طاعة هؤلاء الحلافين الكذابين.

م هماز : معناه: عيَاب، وهو استعارة للسان لأن الهمز أصله في اللغة: الضرب طعناً باليد أو بالعصا أو نحوها، ثم استعير للذي ينال بلسانه.

سنسمه على الخرطوم

الوسم على الخرطوم : كناية عن الإذلال.

والخرطوم كناية عن الاستهانة: لأنه لا يستعمل إلا في الفيل والخنزير.

وفي الخرطوم أيضاً استعارة، لأننا شبهنا أنف المتكبر بالخرطوم الذي هو للحيوانات، ثم أتينا بجملة «سنسمه»، لأنها ملائمة للمشبه وهو الخرطوم وهذا ما يسمّى في البلاغة بالترشيح والمثال على ذلك قوله تعالى: ﴿اشترؤا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم﴾<sup>(١)</sup>، فشبهنا «اشترؤا» بـ «اشترؤا» وقرينة الاستعارة «الضلالة».

وإذا تأملنا الاستعارة نجد أنه ذكر معها شيء يلائم المشبه به، وهو: «فما ربحت تجارتهم».



= من الآيات رقم ١٧ إلى آخر السّورة.  
 = حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه في قوله تعالى: ﴿فطاف عليها طائف﴾.

= التضمين في قوله تعالى: ﴿أَنْ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ لأن «غدا» بمعنى: «بكر» تتعدّى بـ «إلي»، وعدّي هنا بـ «على» لتضمين الغدوّ معنى الإقبال.

= على حرد قادرين: تقديم الجار والمجرور «على حرد» للمحصر ورعاية الفواصل، لأنه يتعلق بـ «قادرين» أي وغدوا قادرين على المنع.

= القصر في قوله تعالى: ﴿كذلك العذاب﴾ و «أل» في العذاب للمعهد أي مثل ذلك العذاب الذي بلونا به أهل مكة من الحرّ الشديد، وأصحاب الجنّة.

والقصر في البلاغة هو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص.

ومن الطرق المخصوصة تقديم ما حقه التأخير كالأية وهنا يكون المقصور عليه المقدم، والمقصود هو المتأخر.

= الاستفهام الإنكاري في قوله تعالى: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾.  
 = الاستفهام التعجّبي في قوله تعالى: ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾.  
 = إطلاق الإيمان على اليهود من إطلاق الجزء على الكل أو اللازم على الملزوم.

كشف الساق في قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ كناية عن شدّة الأمر، وصعوبته، وأصله تسمير الفتيات المخدّرات [أي المقيمات في خدورهن] عن سوقهن في الهرب، فإنهن لا يفعلن ذلك إلّا إذا عظم الخطب، واشتد الأمر، فيذهلن عن الستر لاشتداد الأمر.

= وتنكير ساق: قيل للتهويل.

= التعبير «بذي النون» أبلغ من التعبير بصاحب الحوت.

قال ابن حجر: لاقتضائها تعظيم المضاف، ولذلك نجد أن في معرض مدح يونس، قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ﴾ وفي النهي عن أتباعه، قال: ولا تكن كصاحب الحوت، إذا النون لكونه جعل فاتحة سورة أضخم وأشرف من لفظ الحوت.

## نظرة عامة في الصور الفنية

### لسورة القلم

أولاً : رسم صورة لهذا المتجبر الطاغية، وقد لونت بألوان مشيرة كلها تدور حول كثرة الحلف، ضعف الشخصية، غير واثق من نفسه. إنه رُسم في صورة حقيرة مشوهة جمعت صفات الشر كلها، وتجسدت في شخصه.

ثانياً : الجمل في النص متنوعة:

منها : الخبرية التي كثرت فيها أدوات التوكيد، من قسم وتقديم وتأخير.

والغرض منها أن يؤكد للمشركين صدق نبيّه عليه السلام وأنه معه وناصره.

ومنها: الإنشائية، وهي متمثلة في النهي والتمني والشرط.

إنه تلوين متنوع في التعبير ربط بين عالم الحس والوجدان، بين العقل والإحساس، بين الفكر والخيال.

ثالثاً : الفواصل جاءت على النحو الآتي:

«ن» تكرر مرّات، و«ين» تكرر مرّات.

وكلها تنتهي بحركة صوتية ممثلة في المدّ. والمدّ انسجام إضافي يتخلل الصورة فيكسبها جمالاً في الأداء، وروعة في التعبير.



(٧٨) سُورَةُ النَّبَاِ مَكِّيَّةٌ  
وَأَيُّهَا أَنْبِئُونَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي  
هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا  
سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ  
أُتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ  
سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ  
مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا  
سَرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَمَّاجًا ﴿١٤﴾  
لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ  
يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتُنَا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ  
أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُورَتِ  
الْجِبَالِ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾

لِلطَّاعِينَ مَغَابًا ﴿٢٦﴾ لَسِيْنٍ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٧﴾ لَا يَذُوقُونَ  
 فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٨﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٩﴾ جَزَاءُ  
 وَفَاقًا ﴿٣٠﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٣١﴾ وَكَذَّبُوا  
 بِعَايِنِنَا كَذَابًا ﴿٣٢﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٣٣﴾  
 فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ  
 مَفَازًا ﴿٣٥﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٦﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾  
 وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٨﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴿٣٩﴾  
 جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٤٠﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٤١﴾  
 يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ  
 أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٤٢﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ  
 فَمَنْ شَاءَ اخْتَدِ إِلَىٰ رَبِّهِ مَغَابًا ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكَ عَذَابًا  
 قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ  
 يَلْبِغْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٤﴾

## مشاهد من الدنيا والآخرة

## سورة النبأ

عناصر:

- = عرض آيات الله في الأرض وفي السماء .  
 = تصوير مفضل لنعم الله تعالى على الإنسان .  
 = تهديد بجهنم وما يتبعها من صفات تقشعر لها الأبدان .  
 = وصف للجنة وما يتبعها من صفات يستريح لها الإنسان .  
 = حديث عن يوم القيامة ﴿ يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ﴾ .



مناسبة السورة لما قبلها:

- أ - اشتمالها على إثبات القدرة على البعث الذي كذب به الكفرة .  
 ب - تناسب في الجمل، فإن ما قبلها مشتمل على : « ألم نهلك الأولين - ألم  
 ألم نخلقكم من ماء مهين الخ .  
 وفي هذه : ألم نجعل الأرض مهاداً لـ الخ .



## المفردات اللغوية

- النبأ العظيم : هو القرآن الكريم أو هو البعث وهو الأنسب للآيات .  
 يتساءلون : صيغة التفاعل في الأفعال المتعدية لإفادة صدور الفعل عن

المتعدّد، ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلاً ومفعولاً معاً.  
كلّاً حرف ردع وزجر.

مهاداً : المهد: الموضع الذي يتهيأ للصبي كالمهاد فمئناهما واحد.

أزواجاً : مزدوجين: ذكراً وأنثى ليتسنّى التناسل وينتظم أمر المعاش.

سباتاً : السّبات: الموت، مشتق من السّبت بمعنى القطع.

وقيل: أي سكوناً وراحة، ويقال: سبت الرجل: إذا استراح، ومنه سميّ اليوم المعروف سبتاً لفراغ وراحة لهم فيه.

لباساً : يستركم بظلامه كما يستركم اللباس.

معاشاً : مصدر ميمي بمعنى العيش، وهو الحياة المختصّة بالحيوان،

ووقع هنا ظرفاً مثل: آتيك خفوق النجم، وطلوع الفجر.

والمعنى جعلنا النهار وقت معاش أي حياة تبعثون فيه من نومكم، وهو

مناسب لجعل السبت فيما تقدّم بمعنى القطع عن الحركة.

سبعاً شداداً: سبع سموات قويّة الخلق محكمة لا تسقط، فيها يمنحكم

المعاش.

وجعلنا : أنشأنا وأبدعنا.

سراجاً وهآجاً : مشرقاً متلأثاً، والمراد به الشمس.

المعصرات : السحاب: وهي جمع معصرة من «أعصر» على أن

الهمزة فيه للحيونة، أي حانت وشارفت أن تعصرها الرياح، مثل: أحصد:

إذا شارف وقت حصاده.

ثجّاجاً: أي منصباً بكثرة، يقال: ثجّ الماء: إذا سال بكثرة، وثجّه أي

أساله، ف «ثجّ» ورد لازماً ومتعدّياً.

جنات : جمع جنّة، وهي كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض

من الجنّ، وهو السّتر.

ألفافاً : أي ملتفةً تداخل بعضها ببعض، قيل : لا واحد له من لفظه  
مثل : الأوزاع للجماعات المتفرقة المختلفة .

وقيل : جمع لف بضم اللام، ولف جمع للقاء فهو جمع الجمع .

وقيل : جمع لفيف بمعنى ملفوف، وفعليل يجمع على أفعال كشريف  
وأشرف .

الصَّوْر : النسخة الثانية وهو بالضمّ : القرْن ينفخ فيه .

أفواجاً : أمماً، أي كل أمة بإمامها .

فتحت السماء : انشقت .

سراباً : أي ترى بعد تفتتها كأنها جبال وليست بجبال .

مرصاداً : اسم مكان، أي موضع رصد وترقب ويحتمل أن يكون صيغة  
مبالغة كمنخار، أي مجذة في ترصد الكفرة لثلاث يشدّ منهم واحد .

مآباً : مرجعاً .

أحقاباً : الحقب بالضمّ وبضميتين في القاموس ثمانون سنة أو أكثر،  
والدهر، والسنة، وجمعه : أحقاب وأحقب .

أما الحقبه فهي مُدّة لا وقت لها، وجمعها حقب كعنب، وحُقوب  
كحُبوب .

الحميم : الماء الشديد الحرارة .

الغساق : ما يقطر من جلود أهل النار من الصديد .

ومادته : غسق عينه كضرب، وغسق كسمع وغسقاً : أظلمت .

وغسق الجرح غسقاً : سال منه ماء أصفر .

لا يرجون : لا يخافون .

كذاباً : أي تكديماً، وفِعَال بمعنى تفعيل في مصدر فَعَل مطرّد شائع .

كتاباً : مصدر مؤكّد لأحصينا، فإن الإحصاء والكتب يشتركان في معنى

الضبط .

مفازاً : مصدر ميمي أو اسم مكان .  
 أي إن الذين يتقون لهم فوز أو نجاة أو موضع فوز أو موضع نجاة .  
 حدائق : جمع حديقة .  
 كواعب : جمع كاعب، وهي المرأة التي تكعب ثديها واستدار مع ارتفاع يسير، ويكون ذلك في سن البلوغ .  
 أتراباً : أي لدات ينشأن معاً تشبيهاً في التساوي والتماثل بالترائب التي هي ضلوع الصدر، واللدة كعدة: الترب .  
 كأساً دهاقاً : أي مترعة، يقال : دهق فلان الحوض وأدهقه أي ملأه .  
 لغواً : الكلام الذي لا يعتد به .  
 ولا كذاباً : تكديماً .  
 عطاء : تفضلاً وإحساناً .  
 حساباً : مصدر أقيم مقام الوصف أو بولغ فيه .  
 الروح : قيل : خلق أعظم من الملائكة، وأشرف، وقيل : هم أشرف الملائكة، وقيل : هو جبريل عليه السلام .  
 ذلك : إشارة إلى يوم القيامة .  
 عذاباً قريباً : هو عذاب الآخرة .



### الأساليب النحوية

عن النبأ: جار ومجرور متعلق ببيتساءلون، وعن الثانية بدل من الأولى بإعادة الجار. «الذي» يحتمل الجرّ، والنصب، والرّفْع .  
 أزواجاً : حال، أي متجانسين .  
 يوم ينفخ في الصور : بدل من يوم الفصل، أو عطف بيان مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله .

وفتحت السماء : عطف على : ينفخ، وصيغة الماضي للدلالة على التحقق.

للطاعين : متعلق بمضمر، إمانعت لـ «مرصاد» أي كائناً للطاعين، وإما حال من قوله: مآباً، فقدّم عليه.

جملة : ﴿ لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً ﴾ حال من الضمير المستكن في : «لابئين».

جزاء : مفعول مطلق منصوب بفعل مقدر.

وفاقاً : صفة لـ «جزاء».

كلّ شيء : منصوب على الاشتغال.

كتاباً : مصدر مؤكد لأحصينا.

حدائق : بدل اشتمال من «مفازاً» على جعل «مفازاً» مصدرًا ميميًا.

وتعرب بدل بعض إذا كان مفازاً : اسم مكان.

وأعناياً : معطوف على : «حدائق» قبله، وهو بعض منها إذا أريد به

الكرم.

جزاء من ربك : مصدر مؤكد منصوب بمعنى أن للمتقين مفازاً، فإنه

في قوة قولك : جازى المتقين جزاء.

عطاء : بدل من جزاء.

حساباً : صفة لعطاء.

رب السموات والأرض : بدل من لفظ «ربك».

الرحمن : صفة لربك أو لرب السموات على الأصح، لأنه يجوز وصف

المضاف إلى ذي الألف واللام بالمعرف بها.

لا يملكون منه خطاباً : استئناف مقرر لما أفادته الربوبية العامة من غاية

العظمة، واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير أن يكون لأحد

قدرة عليه.

يوم يقوم الرّوح : ظرف لقوله تعالى : ﴿ لا يتكلمون ﴾ .  
 إلّا من أذن له الرحمن : بدل من ضمير : «لا يتكلمون» .  
 ذلك اليوم الحق : مبتدأ وخبر، والحق : صفة .

لا يملكون : مرجع الضمير راجع إلى المشركين .  
 ما قدّمت يدها : «ما» استفهاميّة منصوبة لـ «قدّمت» أي ينظر أي شيء  
 قدّمت يدها؟

ويحتمل أن تكون «ما» بمعنى الذي، وتنصبُ بينظر، أي ينظر إليّ  
 الذي قدّمت يدها .



### الأساليب البلاغيّة

= الإيضاح بعد الإبهام في قوله تعالى : ﴿عن النّبأ العظيم﴾ وهو بيان  
 لشأن المسثول عنه، وتوجيه أذهان السامعين نحوه، وتنزيلهم منزلة  
 المستفهمين عن أمر خارج عن قدرة البشر جدير بأن يسأل عنه .

= المبالغة بجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات في قوله تعالى :  
 ﴿الذي هم فيه مختلفون﴾ أي هم راسخون في الاختلاف فيه .

= تقديم الجار والمجرور : «فيه» للاهتمام ورعاية الفواصل .

التغاير بين التعبيرين : «كلّا سيعلمون، ثم كلا سيعلمون فـ «ثم»  
 للتفاوت في الرتبة، فكأنه قيل لهم : في يوم القيامة ردع وعذاب شديدان، بل  
 لهم يومئذ أي في يوم القيامة عذاب أشد .

وبهذا الاعتبار صار كأنه مغاير لما قبله فعطف عليه .

= الاستفهام التقريري في قوله تعالى : ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً﴾،  
 وهو استئناف مسوق لتحقيق النّبأ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة  
 بالقدرة الإلهية .

- = وفيها أيضاً تشبيه بليغ .
- = الالتفات إلى الخطاب في قوله تعالى : ﴿ وخلقناكم ﴾ .
- = تشبيه بليغ في قوله تعالى : ﴿ نومكم سباتاً ﴾ .
- = تشبيه بليغ في قوله تعالى : ﴿ الليل لباساً ﴾ .
- = تشبيه السماء بالقباب في قوله تعالى : ﴿ وبيننا ﴾ .
- = التأكيد بـ «إن» في قوله تعالى : ﴿ إن يوم الفصل ﴾ وهو بيان سرّ تأخير ما يتساءلون عنه، ويستعجلون قائلين : متى هذا الوعد؟ .
- = التعبير عن المستقبل بالماضي في قوله تعالى : ﴿ كان ميقاتاً ﴾ .
- = حذف الجمل ثقة بدلالة الحال عليها، وإذناناً بغاية سرعة الإتيان في قوله تعالى : ﴿ فتأتون أفواجا ﴾ أي فتحيون فتبعثون من قبوركم فتأتون إلى الموقف .
- = تشبيه بليغ بين الجبال والسراب في قوله تعالى : ﴿ وسيرت الجبال فكانت سراباً ﴾ ، فإن كلا من الجبال والسراب يرى على شكل شيء، وليس هو بذلك الشيء أو يكون وجه الشبه التخلخل إذ تكون بعد تسييرها غباراً منتشراً .
- = إسناد الرصد إلى جهنم في قوله تعالى : ﴿ كانت مرصداً ﴾ مجاز .
- = الالتفات في قوله تعالى : ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً ﴾ للمبالغة لتقدير إحضارهم وقت الأمر ليخاطبوا بالتقريع والتوبيخ .
- = في قوله تعالى : ﴿ إن للمتقين مفازاً ﴾ ، استئناف مقرر لما أفادته الربوبية العامة من غاية العظمة، واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير أن يكون لأحد مقدرة عليه .

\* \* \*

## المعاني

بدأت السورة بالتساؤل الذي لا يقوم على انتظار الجواب، وإنما يقصد

به العجب من هؤلاء القوم الذين ضلت عقولهم عن هذا النبأ العظيم... ولم يذكر حقيقة يوم القيامة، وإنما ذكر صفة هذه الحقيقة، وأنها نبأ عظيم يثير في نفوسهم هول ذلك اليوم ووقعه، لأنه نبأ عظيم.

التهديد لهؤلاء الذين ينكرون البعث بأنهم سيعلمون عما قريب حقيقة ما ينكرون. وأكد هذا التهديد بتكراره مرّة أخرى حينما قال تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ، ثم كلا سيعلمون﴾.

ثم بعد ذلك أراد القرآن الكريم أن يزيح عن عقولهم الضلال، ويبعد عن نفوسهم الشك، فقدم لهم مشهداً من آيات الله في الكون، في السماء، في الأرض، في المخلوقات ليلمسوا العظة بأنفسهم، فيخضعوا لقدرته، ويشهدوا بعظمته ويقنعوا عن الشك في يوم حسابه.

وبعد أن قدّم لهم الأدلة الدامغة والحجج الساطعة والبراهين القاطعة.

بعد أن مهّد لهم هذا التمهيد العريض ليجيلوا النظر، ويدققوا الفكر شدّهم بعد ذلك إلى يوم القيامة من جديد لتكون الإجابة عن هذا السؤال الذي تعبوا من ترداده ذات أثر في نفوسهم بعد هذه الجولة في محيط القدرة الإلهية المبدعة، فعرض عليهم مشاهد يوم القيامة، بعد أن عرض عليهم مشاهد قدرته التي يحسّونها بأنفسهم، وينظرون إليها بأعينهم، ويلمسون وجودها بأيديهم.

ومن هنا يربطون الشاهد بالغائب، إن كانوا ذوي عقل فيؤمنون بهذا اليوم، وإيمانهم يقتضي أن يتعدوا عن الانحراف، ويرتبطوا بربهم الذي خلقهم.

وبعد هذا المشهد الرائع يأتي مشهد آخر وهو مشهد جهنم، هو مشهد مخيف كأنهم يرونه بأعينهم مشهد يشير إلى جهنم التي تنتظر الطاغين، ليلبثوا فيها الأيام الطوال.

ويعقب هذا المشهد المخيف مباشرة مشهد آخر جميل مشهد الجنة التي أعدت للمتقين .

وقد ذكر القرآن الكريم الواناً من هذا النعيم الذي جاء ذكره بعد ذكر جهنم، ليكون وقع هذا النعيم مؤثراً في نفوس المؤمنين، فيزدادوا إيماناً برّبهم، وعملاً بدينهم، وسيراً على هدى قرآنهم .

والمشهد الأخير، مشهد الختام مشهد تملؤه الهيئة ويحيط به الإجلال حيث يقف جبريل عليه السلام والملائكة في خشوع وخضوع، وقد غشيتهم السكينة وعقد ألسنتهم الموقف، وأحاط بهم الصمت والسكون، لأن عظمة الله في هذا اليوم العظيم تتجلى على عباده، فيستشعرون الخوف والرهبة، لا ينبسون بكلمة، ولا يهمسون بلفظة، اللهم إلا من أذن له الرحمن ليشفع ويتدخل في خضوع ومسكنة .

وكما بدأت السّورة بالتهديد والوعيد ختمت بتهديد أشد، ووعيد أعظم وهو المتمثل في إنذار الله تعالى عباده ليعملوا لهذا اليوم حساباً، فمن قدّم سعد ومن أحجم عن طاعة الله هلك، ولسان حاله في هذا الموقف العظيم الرغبة في أن يعود تراباً غير مسؤل .



### الألفاظ

الألفاظ في هذه السّورة متنوعة فهي بالنسبة للكافرين تتميز بالجرس الشديد، والفواصل القصيرة والتهديد والوعيد .

ففي الألفاظ: جهنم - مرصادا - للطاغين - حميماً - غساقاً كلها ألفاظ تتناسب مع جرم تفكيرهم وضلال عقولهم حينما ينكرون يوم القيامة، وهو يوم لا بُدّ آت وإتيانه ليس ببعيد، بل إنه منزل منزلة القريب المشاهد .

فالكلمات إذاً تفرع آذانهم بالحقيقة، وتسيطر على نفوسهم بالدليل، وتبين خطأ رأيهم بالواقع .

والألفاظ بالنسبة للمؤمنين تطالنا بالهدوء وتعرض في صور المتعة التي ترتاح إليها النفس وتأنس إلى وقعها الأذن، ونفتح لها نفس المؤمن فيسري فيها التعبير كأنها النسيم العليل الذي يبدد حرارة الجوّ ويزيل سموم الرياح التي تدمر كل شيء، ففي الألفاظ: مفازاً - أعتاباً - تواعب أتراباً - كأساً دهاقاً كلها كلمات ناعمة، وألفاظ نديّة يطمئن إليها السمع، وتسعد بها النفس.

وفي نهاية السورة تعود الألفاظ مرّة أخرى مملوءة بالسكينة والوقار، حاملة معنى الإجلال والتعظيم، إنه يوم القيامة حيث تخشع النفوس، وتنكس الرؤوس هيبة وإجلالاً.

السموات والأرض وما بينهما - كل المخلوقات تغشاها السكينة، ويلوذ بها الصمت، وتتعلق بالأمل لتفوز بالنعيم، وتظفر بالجنة.

ولما بدأت السورة بالتهديد الصريح المتمثل بالألفاظ القوية في قوله تعالى: ﴿كلا سيعلمون﴾ الخ ختمت بالإندار الخطير الموجه للناس جميعاً بألفاظ ذات جرس قوي، ووقع شديد، وفي هذه الحالة يلتفت المرء يميناً ويساراً ليرى ما قدّمت يده، فيتعلق بالنجاة، أما الذين ضاعت أعمالهم، وتحولت إلى رماد اشتدّت به الرياح في يوم عاصف فيقولون في حسرة ألم ياليتنا لم نكن، بل ياليتنا كنّا تراباً لا يبعث.

\* \* \*

### بعض المشكلات التفسيرية في سورة النبأ

في قوله تعالى: ﴿جزاء من ربك عطاء حساباً﴾ كيف يكون الشيء الواحد جزاء وعطاء، وذلك محال، لأن كونه جزاء يستدعي ثبوت الاستحقاق وكونه عطاء يستدعي عدم الاستحقاق، والجمع بينهما متناف؟

### الجواب

والجواب: هو أن الاستحقاق ثبت بحكم الوعد، لا من حيث أن الفعل

يوجب الثواب على الله، فذلك الثواب نظر فيه إلى الوعد المترتب على ذلك الثواب نظر فيه إلى الوعد المترتب على ذلك الفعل، وفي هذه الحالة يكون جزاء.

ونظراً إلى أنه لا يجب على الله لأحد شيئاً ففي هذه الحالة يكون عطاءً.



## إعراب

## سورة والضحي (مكية، وآياتها إحدى عشرة)

والضْحَى . والليل إذا سَجَى . ما ودَّعك ربُّك وما قَلَى . وللآخرة خَيْرَ  
لَكَ مِنَ الْأُولَى . وسوف يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى . أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى .  
ووجدَكَ ضالًّا فهدى . ووجدَكَ عائلاً فأغنى . فأما اليتيمَ فلا تقهر . وأما السائلَ  
فلا تنهر . وأما بنعمة ربِّك فحدث .

## إعراب هذه السورة من كتاب

(إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه)<sup>(١)</sup>

طبع دار الكتب المصرية

والضحي : جرّ بواو القسم .

والليل : نسق عليه<sup>(٢)</sup> .

إذا : ظرف وقت .

سجا : فعل ماضن، والمصدر: سجا يسجو سُجْوًا فهو ساج ويقال: ليل

ساج: إذا سكنت ريحه، واشتدت ظلمته . وبحر ساج: إذا سكن . والساج

أيضاً: الطيلسان الأخضر، وجمعه: سيجان .

ما ودَّعك ربُّك : (ما) جحد<sup>(٣)</sup> هنا، وهو جواب القسم .

(١) هذا الإعراب بتصريف . (٢) أي عطف نسق بالواو . (٣) أي حرف نفي .

و (ودع) فعل ماضٍ، والكاف اسم محمد ﷺ في موضع نصب.

و (ربك) رفع بفعله.

ومعنى وما قلى : ما أبغض. يقال: قلاه يقليه: إذا أبغضه.

ويقال قلاه يقلاه بفتح الماضي والمستقبل.

وليس في كلام العرب فَعَل بفتح الماضي والمستقبل فيه مما ليس فيه حرف من حروف الحلق إلا قَلَى يَقْلَى، وَجِبَى يَجْبَى، وَسَلَى يَسْلَى وَأَبَى يَأْبَى، وَرَكَنَ يَرْكَنُ.

وأما قوله: قَلَوْتَ البُسْرَ والسُّويقَ فبالواو، والمصدر: الْقَلَوُ.

وأما الْقَلَوُ: فالحمار.

وللآخرة خَيْرٌ لك من الأولى: اللام لام التأكيد. و (الآخرة) رفع بالابتداء و (خير) خبر الابتداء. و (لك) جر باللام. و (الأولى) جرّ بـ (من). والهمزة في أَوَّل (آخرة) ألف أصلية فاء الفعل، والثانية ألف مجهولة، لأن (آخرة) وزنها: فاعلة.

وألف (أولى) فاء الفعل أيضاً، لأن وزنها فُعْلَى، فأَوَّل وأولى مثل: أكبر وكُبْرَى، ولا علامة للجرّ لأنها اسم مقصور.

ولسوف: اللام لام التأكيد و(سوف) تأكيد للاستقبال.

و يعطيك: فعل مستقبل والكاف في موضع نصب.

ربك: رفع بفعله.

فترضى: نسق بالفاء على ما قبله.

ألم: الألف ألف استفهام لفظاً ومعنى، ومعناه: التقرير.

يجدك: جزم بلم، والكاف في موضع نصب.

يتيماً: مفعول ثانٍ. واليتيم في اللغة: المنفرد.

فأوى: (أوى) فعل ماضٍ، والفاء جواب (ألم) وإن شئت نسق.

والمصدر: أوى يُؤوي إيواءً ممدود. فالألف الأولى ألف قطع. والثانية

قاء الفعل أصلية. والأصل: أوى، فاستثقل الجمع بين همزتين فليّنوا<sup>(١)</sup> الثانية. أوى فهو مؤوٍ. والمفعول به<sup>(٢)</sup> مؤوٍ، فهذا فعل يتعدى. فإذا كان الفعل لازماً قَصُرَت الألف فقلت: أويتُ إلى فراشي أوى أويّاً فانا أوي مثل قاض، واسم المفعول: مأويُّ إليه مثل قوله تعالى: ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾<sup>(٣)</sup> فالأمر من الأول أوي يزيد مثل: أمِن. ومن الثاني إوي مثل: إيت.

ووجدك ضالاً: وجد فعل ماضي، والمستقبل يجد بحذف الواو والأصل: يُوْجِد، فسقطت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة مثل وزن يزن، ووجد يَعِد، ووجب يجب؛ والكاف مفعول بها. (ضالاً) مفعول ثان.

فإن سأل سائل فقال: أكان رسول الله ﷺ ضالاً قبل ذلك؟ فقل: حاشاه من ذلك. وفي ذلك أقوال: أحدهما أي وجدك يا محمد بين قوم ضلّال فهدهم الله بك.

وقال آخرون: ضالاً عن النبوة أي غافلاً فهده الله لها.

وقال آخرون: ضل ذات يوم عن عمه أبي طالب فحزن ثم وجده.

وقال آخرون: هذا مثل قوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾<sup>(٤)</sup>.

فأما الضلال الذي هو ضد الإيمان فحاشاه ﷺ أن يكون ضلّ طرفة عين. ألم تسمع إلى قوله عز وجل: ﴿وَالنَّجْم إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾<sup>(٥)</sup> (عائلاً) مفعول ثان. والعائل: الفقير ها هنا. . .

تقول العرب: عال الرجل يعيل عيلاً فهو عائل؛ إذا افتقر، وينشد.

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل

وعال يعول: إذا جار. قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) أي قلبوا.

(٢) أي اسم المفعول.

(٣) مريم ٦١.

(٤) النساء: ١١٣.

(٥) النجم: ١، ٢.

(٦) النساء: ٣.

وأحال يُعيل : إذا كثر عياله .

فأغنى : نسق عليه . ومعناه : فأغناك ، غير أن الكاف حذفت لأن رؤوس الأبي على الياء .

فأما اليتيم : فأما إخبار فهو في معنى الشرط والجزاء ، فلذلك جاء جوابه بالفاء ، (اليتيم) مفعول به .

فلا : الفاء جواب (أما) و (لا) نهي .

تنهه : جزم بالنهي .

وأما السائل فلا تنهه : نسق على ما قبله ، وإعرابه كإعراب الأول .

وأما بنعمة ربك فحدث : الفاء جواب (أما) و (حدث) أمر عن الفراء قال : قرأ عليّ أعرابي : وأما بنعمة ربك فخبّر ، قال : قلت : إنما هو فحدث ، قال : حدث وخبّر واحد .

قال أبو عبد الله : اختلف أهل العلم في هذا ، فقال قوم : ما قرئ على الشيخ قلت فيه (أخبرنا) وما أملاه عليك قلت فيه : حدثنا .



# التصوير الفني

من التصوير الفني  
في القرآن الكريم  
نصائح مصوران من كتاب  
الطراز ليحيى بن حمزة الغلوي



( ١ )

## الأسرار البلاغية

## في آية قرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم: قوله تعالى « إِنْ رَبَّكُمْ اللهُ الَّذِي خَلَقَ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى  
الْعَرْشِ يَفْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ  
مَسْخُورَاتٍ بَأْمَرِهِ، اللَّهُ الْخَلَّاقُ وَالْأَمْرُ، تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ<sup>(١)</sup>.

فليُنظر المتأملُ في هذه الآية العجيبة مع اشتغالها على  
العدوِّية في ألفاظها المفردة، والسلاسة في تراكيبها، والنظام  
العجيب، والتأليف الأنيق، والأسلوب البديع، حتى  
لا تكاد لفظَةٌ واحدةٌ تخلو عن ملاحظة البلاغة، ومواقع  
الفصاحة، وكيف احتوت على التنبيه على أسرار عظيمة ومعانٍ  
فخمة على أسهل نظام وأيسره، وأتم بيان وأكملَه،  
ولنشر إلى شيء من ذلك من الأمور الظاهرة

( التنبيه الأول )

في قوله « إِنْ رَبَّكُمْ اللهُ » صدرَ الجملة الابتدائية، بإنَّ

المؤكدّة ، لتدلّ على إيضاح الجملة وتحقيقها في مبدأ الأمر ومطلّعه ، ثم قال « ربكم » يشير بذلك الى الإبداع ، والحدوث فيهم وأنهم مخلوقون مربوبون ، وأنهم مندرجون تحت وجود المكنات ، داخلون في حيز المكنونات ، وأنه لهم رب ، ومالك لأمرهم وتصاريح أحوالهم ، لا يملكها أحد غيره ، ولا يقدر عليها سواه ، وصدّر الجملة بذكر الربوبية إشارة الى عظم الاعناء بذكرها وقطعاً لاعتقاد من يعتقد خلاف ذلك ، وتنبهاً منه تعالى على استحقاقه لحقيقة الالهية ، من حيث كان مالكا لأزمة الأمور ، ومقاديرها ، ومن لا يكون بهذه الصفة فإنه لا حظ له فيها ، ولا يكون مستحقاً لها بحال ، وحكم على الربوبية بالالهية ، حيث جعل « ربكم » مبتدأ وقوله « الله » خبره ، إشارة الى أن كل من كان موصوفاً بالربوبية ، فإنه مستحق للإلهية لا محالة ، لأن استحقاقه للإلهية إنما يكون إذا كان منعماً بأصول النعم ، والرب هو المالك ، ومن كان مالكا للشيء فله التصرف فيه ، ومن ملك الشيء كان مستحقاً لإعطائه وله من أصول النعم وفروعها ، فهذا قال « ان ربكم الله » ولم يقل : إن الله ربكم ملاحظة لما ذكرناه ، ويشير بهذا النظام والتأليف الى نكتة لطيفة ، وهي أن الالهية أعم من الربوبية ، والربوبية أخص منها ، جرياً على قانون القياس في

العريية، من أن خبر المبتدأ لا بد من أن يكون أعم منه، ولهذا جاز أن يقال: الإنسان حيوان، ولا يقال: الحيوان إنسان، فالإلهية أعم من الربوبية، فالربوبية على الحقيقة لا يستحقها إلا هو، لأن معناها لا يصلح إلا فيه، وأما الإلهية وهي استحقاق العباد، فقد شاركها فيها غيره، زعماً أن غيره يستحق العباد، فأما الربوبية وهي الملك، فإنه لا يخلص على الحقيقة إلا له لكونه مالك الكونيات دون غيره، ومن عجب ما تضمنه هذا التنبيه أنه جمع الوصفين منبهاً على عظم القهر والاستيلاء، فهذا كان رباً مالكاً، وعلى كونه مختصاً بصفات الجلال، فهذا كان إلهاً (التنبيه الثاني)

في قوله تعالى «الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام» لما خاطبهم بالخطاب الدال على نهاية الملاطفة لهم حيث أضاف نفسه إلى نفوسهم بقوله «ربكم الله» لما لهم من الاختصاص به حيث كان مالكاً لأمرهم ومدبراً لأحوالهم، ولما له من الاختصاص بهم، حيث كان منعماً بالخلق، والايجاد، والتكوين، والرحمة، والالطف، فهذا حصلت الإضافة منبهاً على هذا المعنى، ودالة عليه، ثم عقب ذلك بقوله «الذي خلق السموات والأرض» وإنما خص السموات والأرض، لما فيهما من باهر القدرة، وعظم

المللكوت ، ولهذا قال تعالى « تَخْلُقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ » وَقَدَّمَ السَّمَاوَاتِ لِأَنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ المَخْلُوقَاتِ ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ . وَقَوْلِهِ « وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ » وَلَمَّا كَانَتْ مَخْتَصَةً بِهِ مِنَ الإِحْكَامِ البَدِيعِ وَالاِنْتِظَامِ البَاهِرِ وَلَمَّا كَانَتْ مَكَانًا لِأَشْرَفِ المَخْلُوقَاتِ وَهِيَ المَلَائِكَةُ ، وَلَمَّا تَمَيَّزَتْ بِهِ مِنْ كَوْنِهَا مَوْضِعًا لِلْعِبَادَةِ ، وَالتَّقْدِيسِ ، وَالتَّمْجِيدِ ، وَأَنْوَاعِ العِبَادَاتِ كُلِّهَا ، وَلِكُونِهَا مَحَطًّا لِلرَّحْمَةِ ، وَنَفُوزَ الأَمْرِ وَالأَقْضِيَةِ ، وَالتَّيْدِيرَاتِ ثُمَّ عَقَبَهَا بِذِكْرِ الأَرْضِ مُشِيرًا إِلَى عَظَمِ مَنَافِعِهَا وَكَوْنِهَا مُتَّصِرَةً لِلخَلْقِ ، وَبَسَاطَةً مَمَّهَدَةً لِلتَّصَرُّفَاتِ ، وَاسْتِصْلَاحِ الأَقْوَاتِ مِنَ الزَّرْعِ وَالثَّمَارِ ، وَالفَوَاكِهِ وَأَنْوَاعِ المَعَادِنِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ « وَمَا بَيْنَهُمَا » يُشِيرُ بِهِ إِلَى مَهَابِ الرِّيحِ ، وَتَصَارِيفِهَا مِنْ أَجْلِ إِصْلَاحِ الزَّرْعِ ، وَتَحْرِيكِ السُّفُنِ ، وَجَرَى السَّحَابِ لِإِرْسَالِ الأَمْطَارِ ، وَطُلُوعِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ ، مِنْ أَجْلِ الإِضَاءَةِ وَالإِنَارَةِ لِلْعَالَمِينَ ، وَالنَّجُومِ لِلإِهْتِدَاءِ فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ ، ثُمَّ إِيرَادَهُ عَقِبَ قَوْلِهِ « إِنْ رَبُّكَ اللهُ » عَلَى جِهَةِ التَّمْلِيلِ لِاسْتِحْقَاقِهِ لِلرَّبُوبِيَّةِ وَالإِلَهِيَّةِ فَكَأَنَّهُ قَالَ : وَإِنَّمَا كَانَ رَبًّا لَكُمْ ، وَإِلَهًُا وَمُسْتَحَقًّا لِهَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، فَإِنَّ مَنْ هَذِهِ حَالُهُ فَإِنَّهُ مُسْتَحَقٌّ لِأَمْحَالَةٍ لِأَنَّ يَكُونُ رَبًّا وَإِلَهًُا ، فَالتَّكْوِينِ فِي هَذِهِ الأُمُورِ الثَّلَاثَةِ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ

لا بدّ من موجد وقادر، ومكوّن، لأنّ من المحال في القول أن حصول الشيء بعد أن لم يكن لا بدّ له من قادر، وموجد، فطلقوا الإيجاد والتكوين، دالّان على القادرية، والخلق وهو التقدير فيه دلالة باهرة على الإتقان، وهي العالمية ثم قوله: «إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض» فيه تنبيه على الوحدانية، لأنّ من هذه حاله في التكوين والإيجاد لا يكون إلا مختصاً بالإلهية والربوبية دون غيره، لما قد تقرّر ببرهان العقل استحالة مكوّن لهذه الأشياء سواه فكانه قال: «إن ربكم الله الذي من شأنه خلق هذه المكوّنات الباهرة لارب ولا إله لكم غيره، ثم لما كانت دالة على القادرية، والعالمية، كما أشرنا إليه فهي دالة على الوجود بلا أولية، لأنّه لو كان معدوماً لاستحال منه الإيجاد لهذه المكوّنات، لأنّه لا فرق في مسالك العقول بين إسنادها الى عدم وبين إسنادها الى مؤثر هو عدم، وأنّه لا أولية لوجوده، إذ لو كان له أولٌ لاحتاج الى مؤثر فيما أن يفتركل واحد منهما الى صاحبه، وهو الدور، أو يحتاج الى مؤثر ومؤثره الى مؤثر، الى غير غاية، وهو التسلسل، وكلاهما محال في العقل لأمر قرّناها في الكتب العقلية ثم قال «في ستة أيام» فليس الفرض ذكر أدنى العدد، فأقلّه ساعة واحدة، ولا الفرض الإشارة الى أكثر الأعداد فهي بلا نهاية، وبين هذين وسائط من مراتب الأعداد كثيرة

وَمَنْ عَرَفَ بَاهِرَ الْقُدْرَةِ عِلْمَ قَطْعًا أَنْ خَلَقَ هَذِهِ الْمَكُونَاتِ  
مُمْكِنًا فِي لِحْظَةٍ وَحِدَةٍ ، وَلَكِنْ الْفَرْضُ بِالْتَقْدِيرِ إِشَارَةٌ إِلَى  
قَوْلِهِ سِرًّا وَمُصَلِحَةً اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهَا وَمُصَدِّقًا مَا قَلَنَاهُ قَوْلُهُ  
تَعَالَى « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »

### ( التنبيه الثالث )

قَوْلُهُ « ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ » ظَاهِرُ الْآيَةِ دَالٌّ عَلَى أَنْ  
الْإِسْتَوَاءَ إِنَّمَا كَانَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِكْمَالِ  
أَحْوَالِهَا ، فَأَمَّا خَلْقُ الْعَرْشِ فَلَيْسَ فِي ظَاهِرِ الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى  
تَعْيُنِ وَقْتِ خَلْقِهِ فَبَقِيَ الْأَمْرُ فِيهِ عَلَى الْإِحْتِمَالِ حَتَّى يَدُلَّ دَلِيلٌ  
شَرْعِيٌّ عَلَى ذَلِكَ ، وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ مِنْ أَعْظَمِ الْمَخْلُوقَاتِ ،  
لَمَّا خَصَّهِنَّ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ عِظَمِ الْخَلْقِ ، وَلَمَّا اشْتَمَلَا عَلَيْهِ مِنْ  
الْأَسْرَارِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَالْحِكْمِ الْمُصَلِحَةِ الَّتِي لَا يَحِيطُ بِعِلْمِهَا إِلَّا  
اللَّهُ تَعَالَى ،

وَالْإِسْتَوَاءَ فِيهِ وَجْهَانِ ، أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْإِسْتِيلَاءِ  
يُقَالُ . فَلَا الْمَلِكُ قَدْ اسْتَوَى عَلَى مَلِكِهِ ، أَيْ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ  
وَأَحَاطَ بِهِ فَلَا يَشُدُّ عَنْهُ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَثَانِيَهُمَا أَنْ يَكُونَ الْإِسْتَوَاءُ  
عَلَى حَالِهِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ مِنْ قَوْلِهِمْ . الْأَمِيرُ اسْتَوَى عَلَى سَرِيرِ  
مَمْلَكَتِهِ أَيْ تَمَكَّنَ فِيهِ ، وَتَحْقِيقُهُ ، قَعْدَ عَلَيْهِ قَعُودَ الْمُتَمَكِّنِ  
الْمُسْتَقِرِّ ، لَا قَعُودَ الْقَلِقِ الْمُنْزَعِجِ ، وَكِلَاهُمَا حَاصِلٌ فِي حَقِّ اللَّهِ  
تَعَالَى ، فَعَلَى الْمَعْنَى الْأُولَى أَنَّ اللَّهَ اسْتَوْلَى عَلَى الْعَرْشِ وَمَلِكُهُ

وأحاط به علماً واقْتداراً ، وعلى الوجه الثاني يكون على جهة  
التخييل كقوله تعالى « يدُ الله فوق أيديهم » وتقريرُ التخييل ،  
أن الحالة الحاصلة للملك في الاستقرار والتمكن على تَحْتِ  
مملكته وسريته ، هي حاصلة لله تعالى على عرشه ، كما في قوله  
تعالى « بل يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ » كما سنقرره في التخييل ونوضح  
أمثله بمعونة الله تعالى ،

وأتى بتم ، دون الفاء ليدل بها على التراخي ، ولأن نظام  
الآية معها يكون أسلس وأسهل والسببُ بها أتم وأعجب ،  
وهذا يذوقه من جاد ذوقه وسليم طبعه عن عَجْرَفَةِ الكلام ،  
وزال عن المنجُهانية في القول ،

### ( التنبيه الرابع )

قوله « يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا » ظاهرُ الآيه  
هنا دالٌّ على أن الغاشي هو الليلُ لقوله تعالى « والليل إذا  
يغشى » فالليل إذا غاش للنهار يطلبه ، فهذا هو الظاهر من  
الآية ويحتمل أن يكون الغاشي هو النهار ، وأن الغشيان  
مضافٌ إليه دون الليل ، وأن الليل لا يغشى النهار ، بخلاف  
التكوير في قوله تعالى « يُكْوِرُ الليل على النهارِ ويكْوِرُ  
النهار على الليل » وبخلاف الإيلاج في قوله تعالى « يُولِجُ  
الليل في النهار ويُولِجُ النهار في الليل » فإن التكوير والإيلاج

يصلح أن يكون في كل واحد منهما كما في ظاهر هاتين الآيتين، والسرُّ في ذلك هو أن التكوير هو الجمع، يقال. كَوَّرَ الليل، إذا جمعه ومنه كَارَةٌ (١) القصار، والإيلاجُ هو الإدخال يقال. ولج في بيته، إذا دخل فيه، وهذان المعنيان يصلحان في كل واحد من الليل والنهار، لأن الليل يُجمع على النهار كما يُجمع النهارُ على الليل، وهكذا الإيلاج، فإن الليل يدخل في النهار، كما يدخل النهار في الليل. بخلاف النسيان، فإنه مخصوص بالنهار، والسرُّ في ذلك هو أن النور أمرٌ وجودي محققٌ، والظلمة أمرٌ عديمٌ، وحقيقتها آتلة الى أنها عدمٌ النور، فهكذا تقول: الليل حقيقة آتلة الى عدم الإضاءة، والنورُ، حقيقة آتلة الى حصول الإضاءة والإنارة، وإذا كان الأمر كما قلناه من ذلك صحَّ وصف النهار بالنسيان لظلمة الليل. لأنه يطلع بالإنارة فينشى الليل بإذهايه، ووصفُ النهار بكونه غاشياً استعارة حسنة، إذا الغشاء هو الغطاء فنزله أعنى النهار في إذهايه لظلام الليل، منزلة من يفتى الشيء بالغشاوة ويستره، لأنه يذهب ظلمته ويزيلها بطلوعه، ويمحوها بإنارته،

ويموز أن يكون من باب التشبيه، ولهذا فإنك لو أظهرت أداة التشبيه لحسن ذلك فتقول. النهار يُذهب

(١) الكارة. ثوب يجمع فيه القصار الثياب ويشده ثم يحمله على ظهره

ظلمة الليل عند غشيانه كالثوب ينفى جسد الانسان ويشتمل عليه عند ارتدائه به ، وتوجيهه على جهة الاستمارة الطف بمناء ، وأرق لألفاظه من التشبيه لأن الاستمارة فيه أظهر ، لأن المستمار منه مطوى الذكر ، فهذا حسن موقعها وأنت إذا أظهرت أداة لتشبيه تكاد تنقص من بلاغته ، وتغض من موقع فصاحته وإنما قال : « ينفى الليل النهار » ولم يقل يلبس ولا يخلط الليل بالنهار ، لأن لفظة التغطية ، أبلغ في الإحاطة والشمول من لفظة الإلباس والاختلاط ، مع ما فيها من الرقة واللطافة ، والخفة والسلاسة ، وهي مؤذنة أيضاً بشدة الاتصال والالتحام بين النشأة ، والمنفى ومصدق ما قلناه قوله تعالى « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون » فشبّه انفصال الليل من النهار بسلخ الأديم عن الشاة ، وهذا يدلُّ على عظم اتصال الليل بالنهار وشدة التحامه به ، ولهذا فإنك ترى الفجر عند طلوعه ، نُورُه في غاية الامتزاج والاختلاط بظلام الليل ، فلا يزال النهار في قوة ، وغلبة ، وظهور ، حتى يستولى عليه بالإِنارة فيمحوه ويزيله ، فالسلخ مؤذن بشاة الالتحام ، كالجلد ، والنشيان مؤذن بعظم الاستيلاء والاشتغال ، وكلاهما مشعرٌ بالاتصال البالغ ( ينفى الليل ) جملة فعلية خبرية حالٌ من الضمير في خلق ، ولهذا جاءت من غير واو ، دالةً على اندراجها تحت

ما تقدم ( يطلبه ) جملة أيضاً خبرية حال من النهار ، ومجيئها من غير واو ، تنبيهٌ على أنها موضحةٌ للفشيان ومفسرةٌ له ، لأنه لما جعل النهار غاشياً لظلمة الليل بالإضاءة جعل النهار كالطالب لظلام الليل بالسرعة في الإزالة والمحو ، فكأنه قال : أغشيت الليل النهار ، وجعلت النهار طالباً له بالسرعة والإحداث ، ويحتمل أن يكون ( يطلبه ) حالاً من الليل ، أي جعلت الليل طالباً للنهار يستدعيه لإزالة ظلمته وكشف سواده بالإضاءة والضوء ، والأولُ أعجب ، لأجل تقدم قوله ( ينشى الليل النهار ) فلما كان النهار غاشياً لظلام الليل ، كان هو الطالب لإزالة ظلامه ، وانتصاب « حينئذ » إما على الحال من النهار ، أي مسرعاً عجباً ، وإما على الصفة لمصدرٍ محذوف ، أي طلباً حينئذ ، وكلا المعنيين لا غبارَ على وجهه ، وإنما جاء قوله ( خلق ) على صيغة الماضي ، وقوله ( ينشى ) و ( يطلبه ) على صيغة المضارع ، تنبيهاً على استقرار الخلق وتحققه وثبوته بالمضى ، ولما كان الفشيانُ والطلبُ يتجددان بحسب الأوقات ، جاءت المضارعة للإشعار بالتجدد والحدوث . وإنما قال ( الذي خلق السموات والارض ) ولم يقل : الخالق للسموات والارض ، لأن الفعل الماضي أدلّ على تحقق الخلق وثبوته واستمراره من أسم الفاعل

( التنبيه الخامس )

قوله تعالى ( والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره )

انتصابها على العطف، أي وخلق هذه الكواكب العظيمة  
المختصة بالإتقان العجيب، والإحكام الباهر، ولما اشتملت  
عليه من المصالح العامة للخلق، فالشمس للضوء، والإِنارة،  
والدِّفء، وإصلاح جميع الناميات، والقمر للنور الساطع،  
وتقدير الأوقات، والنجوم للاهتداء في ظلمات البر والبحر،  
وغير ذلك من المنافع والمصالح (مسخرات) انتصابه على الحال  
من جميع ما تقدم، أي مُدَلَّلاتٍ لهذه المنافع، على قاتون  
الحكمة، وعلى وفق ما قدر فيها من المصالح « بأمره » فيه  
وجهان. أحدهما أن تكون الباء فيه للإلصاق، ومعناه أن  
التسخير والإذلال ملتصقان بالأمر، كما تقول . كتبت بالقلم،  
وثانيهما أن تكون الباء للحال، وعلى هذا يكون معناه  
ملتبساتٍ بالأمر في كل الأحوال لا يخرجن عنه ساعة واحدة،  
ولا يملن عن الانقياد طرفة عين، وإنما قال . ( بأمره ) ولم  
يقل . بقدرته ، مع تحقق الحاجة إلى القدرة أكثر من الحاجة  
إلى الأمر، لأنه لما ذكر التسخير وفيه معنى الطاعة والانقياد،  
عقبه بذكر الأمر، لما كانت الطاعة من لوازم الأمر وأحكامه

( سؤال )

لم خص معاينة الليل والنهار، والشمس والقمر والنجوم،  
من بين سائر المكونات بالذكر مع اختصاصها بالحكمة  
والإتقان العجيب

وجوابه هو أنه لما صرح بلفظ السماء والارض ، وأبهم الأمر في خلق ما وراءهما بقوله ( وما بينهما ) أراد إيضاحه وبيانه ، فخصّ هذه أعنى تعاقب الليل والنهار وهذه الكواكب بالذكر ، إيضاحاً لما أبهمه من قبل في ذلك

( التنبيه السادس )

قوله تعالى ( أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ) لَمَّا ذَكَرَ هَذِهِ المخلوقات العظيمة ، وعدّد هذه المكونات الباهرة ، عقبها بحرف التنبيه ، إيقاظاً وحثاً على النظر ، وإعلاماً بأنها ملكٌ له يتصرف فيها كيف شاء ، من الحَلِّ والعقد ، والزيادة والنقصان ، وغير ذلك من سائر التصرفات والتغيرات ، وقوله ( أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ) فِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا أَنْ تَكُونَ اللام فِيهَا لِلْمَهْدِيَةِ ، فَالْخَلْقُ إِشَارَةٌ إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ أَنْوَاعِ المخلوقات كُلِّهَا ، وَالْأَمْرُ ، إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ ( مَسْخَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ) فَكَأَنَّهُ قَالَ : يَمْلِكُ جَمِيعَ مَا سَبَقَ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا

( وَثَانِيَهُمَا ) أَنْ تَكُونَ اللام فِيهَا لِلْجِنْسِيَّةِ ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّهُ يَمْلِكُ جَمِيعَ المخلوقات وَالْأَمْرُ كُلِّهَا ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : يَمْلِكُ الْقَوْلَ وَالْفِعْلَ وَيَجْرِي ذَلِكَ مَجْرَى الْمَثَلِ ، كَمَا يُقَالُ فَلَانِ يَمْلِكُ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ ، وَالْحَلَّ وَالْعَقْدَ ، وَالْقَبُولَ وَالرَّدَّ ، وَالْإِبْرَامَ وَالنَّقْضَ ، يَرِيدُ أَنَّهُ لَا تَنْصَرِفَ لِأَحَدٍ سِوَاهُ ، وَلَا حُكْمَ لغيرِهِ بِحَالٍ ، فَلَمَّا عَدَّدَ أَصْنَافَ المخلوقات كُلِّهَا وَأَنَّهَا جَارِيَةٌ

على نمت التذليل ومنهاج التسخير المطابقين لقانون المصلحة،  
ومقتضى الحكمة ، عقبها بخطاب دالّ على الإشادة  
والاشتهار ، بأنّ من هذه حاله فهو المستحقّ لأنّ يكون  
له الخلقُ والأمرُ مبالغةً في الأمر وتأكيداً فيه

( التنبيه السابع )

قوله تعالى ( تبارك الله رب العالمين ) ختم هذه الآية  
بما يدلّ على الإعظام والمدح بعظم الآلاء ، وترآكم النعم على  
الخلق ، والبركة هي النماء والزيادة ، و( تبارك الله ) بمعنى بارك  
الله ، والبركة في حقه تعالى تكون من وجهين ،

( أحدهما ) بالإضافة الى ذاته تعالى بكثرة أوصاف  
الجلال ونعوت الكمال . إمّا الى نهاية ، وإمّا الى غير نهاية ،  
على حسب الخلاف بين العلماء في أوصافه تعالى

( وثانيهما ) بالإضافة إلى أفعاله تعالى من أنواع  
الإحسانات وضروب التفضلات على الخلق من أصول  
النعم وفروعها ، فالبركة ههنا تُفسرُ على الوجهين اللذين أشرنا  
اليهما كما ترى ، وقد صدر الله تعالى هذه الآية بذكر  
الربوبية ، ثم ختمها بذكرها إعظاماً لهذه الصفة واهتماماً  
بأمرها ، فذكرها في أولها على جهة الخصوص بقوله ( ربكم )  
بني الثقلين وذكرها في آخرها على جهة العموم بقوله ( الله )

رب العالمين) يريد جميع العوالم كلها من صامتٍ، وناطقٍ،  
وجادٍ، وحيوانٍ.

فليُدرك الناظرُ المتأملُ ما اشتملت عليه هذه الآية  
من الإشارة إلى خلق المكونات كلها، واشتمالها على بدائع  
الحكمة، وعجيب الصنعة على أعجب نظام وأرشفة، وأحسن  
سياقٍ وأعجبه، وقد أشرنا فيها إلى بعض ما تحتمله من اللطائف  
والأسرار وما أغفلناه من معانيها أكثر وأغزر مما ذكرناه

(٢)

من سورة الحج آية ٥، ٦، ٧

(الآية الثانية) قوله تعالى في سورة الحج « يَا أَيُّهَا  
النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ  
ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ  
لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ، وَنُقَرِّئُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ  
مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنكُمُ  
مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُمُ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا  
يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا  
أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ  
بَهِيجٍ ، ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ  
اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ،

فليوظف الناظرُ فهمه، وليتأمل ما أُودِع في هذه الآية من  
المحسن الرائفة والمعاني الفاتقة مع اختصاصها بالترتيب الفائق  
وتزييلها على النظام المعجِبِ الرائق الذي يَسْحَرُ الألباب رِقَّةً  
ولطافةً ، ويُدْهِشُ الأفهامَ عذوبةً وسلاسةً ، فصدر  
الآية بالنداء ، والتنبيه ، من أجل الإيقاظ ، وجاء بصيغة  
الشرط على جهة الملائفة في الخطاب ، وحقَّق اعتراض الرِّيب  
والشكِّ في الأفتدة ليدفعه بالبرهان الواضح الجليّ وضمنها  
برهانين

(البرهانُ الاول) منها عجيبُ خَلْقَةِ الإنسان وتقلُّها  
في هذه الأطوار السبعة ، ترابياً ، ثم نطفة في الرحم ، ثم  
علقة ، ثم مُضْغَةٌ ، ثم الطفولة ، ثم الكهولة ، ثم الشيخوخة  
والهرم ، فقد أشار بهذا التدرُّج الى عجيب القدرة ، وإلى  
دقيق الحكمة على اختلاف هذه الأطوار ، وتباين هذه  
المراتب في الخلقه .

ودلالتهَا ، من وجهين ، أحدهما أن كلَّ من قدر على  
إحداث هذه الأمور وإبداعها من غير شيء فهو قادرٌ  
لامحالة على إعادتها ، لأن الإعادة مثلُ الإيجاد ، ومن قدر  
على الشيء قدر على مثله لا محالة ،

وثانيتها، أن الابتداء إيجادٌ من غير احتذاء على مثال سابق، والإعادة إيجادٌ مع سبق الاحتذاء، فمن هو قادر على الابتداء كان أولى أن يكون قادراً على الإعادة بطريق الأحق، ولهذا قال تعالى منبهاً على ذلك بقوله (وهو أهونُ عليه) يشير إلى ما قلناه

(البرهان الثاني) حال الأرض بكونها جُرُزاً ثم بإزالة الماء عليها، ثم بحصول هذه الأزواج النباتية المختلفة، وأهترازها بالأزهار الغضة والأكمام المنفتحة، بحيث لا يمكن حصرها ولا يتناهى عدّها، فهذان برهانات قد اشتملا على ما عدد الله تعالى فيهما من عجائب القدرة، وإتقانات الحكمة، وساقها على هذا النظام البديع، والاختصار المعجز البليغ الذي يفحم كل ناطق، ويروق كل سامع، ثم إنه عز سلطانته، لما فرغ من نظم هذه البراهين الباهرة وترتيب هذه الأدلة القاهرة، عقبها بذكر ثمرتها، وتقرير مدلولها، وإنتاج فائدتها فقال « ذلك » يشير به إلى ما سبق من تقرير الأدلة وانتظامها « بأن الله هو الحق » يعنى الموجود الثابت، يشير به إلى أنه مُوجدُ المكونات كلها المحصل لحقائقها وصفاتها نحو خَلْقَةِ الإنسان وأحوال الأرض، « وأنه يحيى الموتى » يشير به إما إلى إحياء النفوس بعد أن كانت تراباً ونُظفاً، وعلقاً ومُضناً، في هذه الأطوار وإما إلى إحياء الأرض بعد أن كانت جُرُزاً هامدةً، يطيرُ ترابها.

فصارت مُخَضَّرَةً مُؤَيَّنَةً « وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » على جميع  
 الممكنات ، فلا يشذُّ عن قدرتهِ شَيْءٌ من كلياتها ، ولا شَيْءٌ  
 من جزئياتها ، « وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَإِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ  
 بِمَا فِي الْقُبُورِ » يُشير بهِ إلى أحوال البعث ، والحشر ، والنَّشْر ،  
 وأمور القيامة ، فقد اشتملت هذه الآيةُ على المعاني الجمَّة ،  
 والنُّكْتِ الغزيرة ، ولو ذهبنا نستقصى ما تضمَّنته من الأسرار  
 الإلهية والدقائق المصلحية ، لسردنا أوراقاً ، ولم نُحْرِزْ مِنْهُ  
 أطرافاً ، ومن عجيب سياقها وحلاوة طعمها ومذاقها ، اشتمالها  
 على المجازات المفردة ، والمركبة ،

فأما المجازاتُ المركبةُ فهي مواضع أربعة ، ففي الأرض  
 ثلاثةٌ في قوله « اهترت وربت وأنبت » فإسنادُ هذه الافعال  
 إلى الأرض إنما كان على جهة المجاز ، والفاعلُ لها هو الله  
 تعالى ، وفي وصف الساعة مجازٌ واحدٌ في قوله تعالى « وَأَنَّ  
 السَّاعَةَ آتِيَةٌ » لأن الآتي بها هو الله تعالى ،

وأما المجازاتُ المفردةُ فأكثر سياق الآية مشتمل عليه  
 كقوله تعالى « فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ » فالفاء للسببية وليست سبباً في  
 ثبوت البعث ، وإِنَّمَا هو واردٌ على جهة المجاز ، وقوله تعالى  
 « خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تَرَابٍ » فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَى حَقِيقَةِ الْعَمُومِ فَإِنَّ الْمَخْلُوقَ  
 مِنْ تَرَابٍ ، إِنَّمَا هُوَ ( آدَمُ ) لَا غَيْرَ ، وقوله « ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ »  
 لَيْسَ عَلَى عَمُومِهِ ، فَعَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ « وَحَوَّاءَ » لَيْسَا مَخْلُوقَيْنِ

من نطفة ، وهكذا سائر ألفاظ الآية ، فإنها غير خالية عن استعمال المجازات ، ومن أجل هذا رَقَّ مشربُها ، وساغ مُستعذبُها